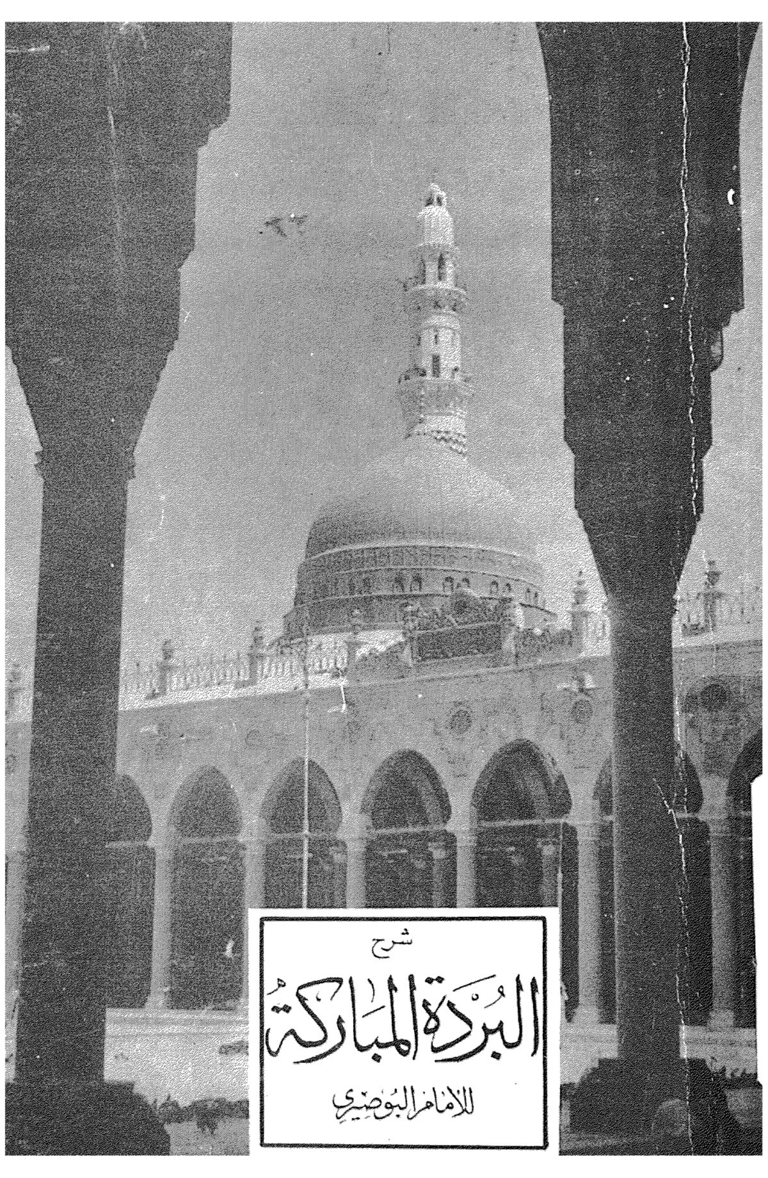


شرح

البُردة المباركة

للإمام البوصيري

شرح



إعداد

أسامة أبو خليل


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

الى مولاى وسيدى وحبيبى المصطفـــى ﷺ .. لعلـــى بهذا الجهد المتواضع أكون قد أوفته ﷺ جزءا ولو يســـيرا من فضله ﷺ علىّ شخصيا .. وعلى الأمة الاسلامية جمعاء .. ولعلى بذلك أكون قد عبرت ولو بطريقة مبسطة عن حـــبى له ﷺ .. فمهما كانت طريقة التعبير فإنها لا يمكن أن توفيه حقه ﷺ .

اليه صلـــى الله تعالى عليه و سلم عرفانا بالجميل ..... وشكرا على تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم لشخصى الضعيـــف بأن أكون فى موقع الخلافة لأبــى الذى انتقل رافضا أن يحدد خليفته من أولاده .... اليــه صلى الله تعالى عليه حيث قال جـــدى الشيخ " أبو خليـــل " أن اختيارى للطريق هـــو "إرادة نبويـــة عليـــا " فصار علـــىّ التفانى فى خدمة الطريقـــة الخليلية .. عرفانا بالجميل .. وشكرا على هذا التكريم .

الى سيدى الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنـــه .... صاحب البردة المباركة .. لعلى بذلك أكون قد ساهمت فى جـــلاء هذا الصرح العظيم من المديح النبوى المبارك . وأوضحـــت

ما استغلق على البعض من معانيها ودررها .

الى سيدى وجدى وشيخى العارف بالله الشيخ محمد أبو خليل الذى تعارف الناس على تسميته بالشيخ "أبو خليل" .. صاحب الطريقة الخليلية .. الذى أورثنى من صلبه حبا لرسول الله تعالى سيدنا المصطفى ﷺ وآل بيته الكرام .. والذى جعل بردة المديح المباركة عنصرا هاما وأساسيا فى الحضرة "الخليلية".

الى جدى "الشيخ أبو خليل" الذى كرمني بأن أراد لشخصى الضعيف أن أكون فى مقدمة صفوف مسيرته الخليلية النبوية .. كرما منه رضوان الله تعالى عليه .. وليس سعيا منى .. ولا عملا قصدت به ذلك .. وإن كان ذلك ليس ببعيد ولا مستغرب . فلا حرج على فضل الله تعالى .

الى أبى السيد "محمد محمد أبو خليل" الصغير ... الذى شربت منه الايمان .. وتعلمت منه كيف يكون الانسان دينا .. لقد فتحت عينى على الدنيا لأجده عابدا زاهدا .. مقيما على الطريق الخليلى .. وحب سيدنا رسول الله ﷺ وحب آل البيت الكرام الأطهار .. والغوص فى بطون الكتب

الدينية مستخرجا درر‌ها .

أبى الذى لازمته السنوات الثلاث الأخيرة من عمره وهو طريح الفراش من فالج أصاب شقه الأيمن طوليا فأعجزه عن كل شئ عدا مسبحته .. ومع ذلك لم أسمع منه طوال هذه السنوات الثلاث الطوال .. الطوال .. سوى كلمات بينه وبين الله تعالى صارت محفورة فى عقلى - لطول تكرارها - حتى صارت وكأنها منقوشة أمام عينى آنى كنت ...

" الحمد لله "

" أمرك يارب "

" كل ما يأتى من المحبوب محبوب "

" يارحمة الله " وليس هذا دعاء الى الله تعالى ليرحمه مما هو فيه .. بل ذكر وصلاة على سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى كان أبى يكنى عنه فى الكلام " برحمة الله " مصداقا لقول الحق عز وجل .. " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " .. وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم " إنما أنا رحمة مهداة " .

وغير هذا وغيره من دعاء وحمد .. وهو فى كل ذلك .. صادق الإيمان .. رابط الجأش ... لا يقول ما يقول رياءً .. بل من قلب عامر بالإيمان صادقه .. فهذا أحد الإخوة الخليلية يواسيه فيما أصابه فيكون رد الإيمان والرضا ....

" الحمد لله ، لقد ترك لي اليد اليسرى لأمسك بها المسبحة " .

وينعكس كل ذلك على من حوله ومن يتردد عليه من الاخوة الخليلية الذين ما زالوا يترددون عليه في كل وقت وحين ... يتلقون منه وعنه ما كان يمنحهم إياه في السابق وهو كامل الصحة .. والرجل المريض دائم العطاء .. دائم الدعاء .. رابط الجأش .. شديد الثقة بالله تعالى ..

حتى رجعت نفسه الى ربها .. راضية مرضية .... ومسبحته لم تفارق يده .. وايمانه يفيض من نفسه علينا .. أصلابا .. وأبناء عهد .. وآخر دعواه " أن الحمد لله رب العالمين " .

الى إخوة في الطريق الخليلي .. يواصلون المسيرة معي .. منهم الكبير الذى عاصر شيخنا الكبير " أبو خليل" ووهبه الله تعالى العمر والصحة ليواصل المسيرة معنا .. ومنهم الذى شارك أبي مسيرة كفاحه الطويل .. ومنهم من دون ذلك من العمر وشارك في المسيرة .

إلى إخوة في الطريق الخليلي شاركوا في المسيرة بعد أن ضمتني .

الى المسلمين عامة ٠٠ ذلك الذى يحاول منهم أن يسمع كلمة حق ٠٠ وأن يقرأ كلمة صدق ٠٠ وأيضا ذلك الذى لا يحاول ٠٠ فلعل كلماتى هادية الى ما صرنا فيه من خير عميم ٠

الى كل هؤلاء أقدم هذا الجهد المتواضع ٠٠ لعلى بذلك أضئ ولو شمعة ضئيلة ٠٠ فى طريق النور ٠٠ الذى اختطه سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ٠

ذلك الطريق الملئ بالشموس اللامعة من أهل بيت النبوة المطهرين المكرمين ٠٠ والأقمار والثريات المتلألئة من أولياء الله تعالى الصالحين عليهم رضوان الله ٠ الذين قال فيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم " علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل " ٠

ذلك الطريق الذى يبدأ بحب سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ وينتهى بجنة الخلد إن شاء الله ٠

أقدم شمعة ضئيلة فى طريق النور ٠٠ وحاشاى أن أدعى أننى قد أضفت جديدا ٠٠ إن ما أقدم هو فقط محاولة لإزالة ما غطى هذا الصرح العظيم من المديح النبوى المبارك

.. بردة البوصيرى المباركة .. من شوائب وحجب .. سببها ابتعاد أبناء اللغة العربية عن لغتهم .

ولعلى أكون قد وفقت ، والله تعالى من وراء القصد .

تمهيد

لست أول من تناول البردة المباركة بالشرح والتفصيل ..
وبالقطع لن أكون آخرهم بإذن الله تعالى .

ولست أدعي أنني أحاول هنا أن أقدم عملا فنيا أدبيا رفيعا .. فلست أنا بالأديب اللغوي المتبحر .. ولا أنني أقدم عملا صوفيا جليلا .. فلست أنا بالصوفي الذي فتح الله تعالى عليه بجوامع الكلم .. وان كان ذلك ليس على الله بعزيز .

إن ما أقدم هنا ليس أكثر من نصيب آخذ به بجهدي الضعيف في التقرب الى مولاي وسيدي رسول الله ﷺ بتقديم شرح مبسط لبردة المديح المباركة التي أنشأها الامام العالم العامل البوصيري رضي الله تعالى عنه تقربا اليه ﷺ .

وقد نشأت الفكرة لدي أساسا كمحاولة لأن أقدم شرحا مبسطا لمفردات كلمات أبيات البردة .. مدفوعا في ذلك بما لاحظته عند تداول قراءتها من أن كثيرا من معانيها يغيب عن كثير ممن يتناولونها بالقراءة .. أو أن البعض قد يفهم كلماتها بطريقة خاطئة ربما خرجت بالمعنى الى غير ما هو مقصود به .. بل وربما الى عكس هذا المعنى تماما .

واذا ما كانت الحالة كذلك .. وأن كثيرين ممن يتناولون البردة تستغلق عليهم معانيها .. أو أن تضل هذه المعانى فى أذهانهم الى درجة أن يؤدى ظاهر النص الى عكس المعنى الحقيقى .

وإذا ما كان البعد عن اللغة العربية .. حيث أبعدت الحياة اليومية أهلها عنها تشاغلا بكسب العيش .. أو بعد أهلها عنها اختياريا تشدقا بأنهم من ذوى الثقافات ... والاطلاعات الاجنبية .... وتضافرت مع ذلك الحرب ... المنظمة .. المدروسة .. التى تلقاها اللغة العربية من القوى الخارجية والثقافات الاجنبية ... باعتبارها عاملا هاما من عوامل الارتباط العربى الموحد .. وصلة العرب بماضيهم .. ثم أن هذا فى النهاية ينعكس على الثقافة والفكر الاسلامى التى هى وعاؤه الاصلى .. فالاسلام ولا شك هو مستهدف بحرب اللغة العربية .

وإذا ما كانت تلك هى الأسباب ـ وهذا ثابت وغير قابل لكثير من الجدل ـ فإنه يصبح واجبا على كل من باستطاعته أن يقدم شيئا فى هذا المجال أن يفعل .... أو يصبح آثما .

ومن هذا المنطلق بدأت بتوفيق الله تعالى وعون من

رسوله الكريم ﷺ وبمدد من شيخي أبو خليل في تناول مفردات قصيدة البردة بالشرح .. شرحا مبسطا على قدر الإمكان حتى لا أخرج بالناس من استغلاق في النصوص والمعاني إلى استغلاق آخر . شرحا مبسطا في حدود عدم التفريط .

وكان عليّ أن أغوص في أعماق النص حتى أخرج بالمعنى .. الحقيقي .. الصحيح .

وفي الواقع أنني ما انتهيت من شرح المفردات الا وأحسست أن شرحا للمفردات فقط هو ولا شك عمل مبتور ناقص لا يكفي لاجلاء معانيها الحقيقية ولا يوفيها حقها .. على الأقل حتى أنقل الى الناس كل ما أحسست به من مشاعر ومتعة روحية حقيقية قل أن تعدلها متعة .

وهنا بدأت في عمل شرح اجمالي لكل بيت من أبيات البردة على حدة .. يوفيه نصيبه من البيان والتوضيح .

ولكنني عدت لأستشعر النقص فيما فعلت إذا ما أنا وقفت بعملي عند حد تقديم هذا الشرح للأبيات منفردة .. فشرح كل بيت على حدة ينقصه أن تترابط صوره ومعانيه مع باقي أبيات جزء القصيدة الذى يقع فيه .

وعدت لأستكمل العمل بتقديم شرح كامل لكل فصل من فصول البردة على حدة .. بشكل متكامل متماسك .. يوضح

ما فيه من قوة وجمال ومعان •

وباستعراض هذا الشرح المجمل للفصول المختلفة للبردة •• واقرانه بالكلمة الموجزة الشاملة التى قدمت بها البردة ككل فى البداية فإن الصورة تصبح واضحة جليّة •

وقبل أن أختتم هذا التمهيد أعود للتأكيد بأن ما أقدم هنا ليس شرحا متخصصا للبردة المباركة •• كما أنه ليس نقدا لها يجلى ما فيها من فن لغوى •• ولا حتى هو محاولة لإيضاح ما تضمنته من نواحى الجودة الشعرية واللغوية •• إن ما أقدم ليس الا شرحا لمعانى البردة •• شرحا مبسطا على قدر الامكان •• حاولت ألا يشوبه الاستغلاق ولا التفريط •• أقصد به فقط جلاء ما فى البردة من معان •

ولا أعتقد أننى بذلك قد أوفيت البردة حقها •• ولكنه جهد المقل •• قصدت به رضاء وحب سيدى المصطفى ﷺ وبركة سيدى الامام البوصيرى صاحب البردة •

جهد أقول فيه لجدى وشيخى " أبو خليل " أننى سائر على درب الحب لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم •• كما

أراد هـــولـــى ٠٠ ومدد ه أواصل المسيرة ٠

جهد أقول فيه لأبـــى وشيخـــى السيد " محمد أ بـــو خليـــل " الصغير أنه قد شـــب من أبنائه من يكمل مســـيرة الإيمان وحب آل البيت التى عاشها ومـــات فيهـــا ٠

ولعـــل اللـــه تعالـــى أن يتقبـــل ٠

الإمام البوصيري

هو الإمام الجليل العالم العامل العارف بالله (شرف الدين) (أبو عبد الله) محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال (أو هلول) الصنهاجي ، نسبة الى صنهاج أو صنهاجة وهي بلدة من بلاد البربر في المغرب .

ورغم أن نسب الامام البوصيري يمتد الى بلاد المغرب فإنه ولد في صعيد مصر بمحافظة بني سويف .. وذلك يوم الأول من شوال سنة ثمان وستمائة من الهجرة (٦٠٨ هـ) .. أي في أوائل القرن السابع الهجري .

وكان أبوه من قرية دلاص ، وأمه من قرية بوصير ، وقد ولد في القرية الأولى ، وتربى في القرية الثانية .

وعلى عادة أن ينسب أعلام الرجال لموطنهم فقد اشتق للامام محمد بن سعيد اسما يختلط فيه اسما القريتين فقيل له " الدلاصيري " .. ولكنه لصعوبة الاسم تحول بالتدريج الى اسم " البوصيري " الذي اشتهر به .

وقضى الامام البوصيري زمن طفولته في تعلم القراءة والكتابة

وحفظ القرآن الكريم وتلقى العلوم ، ثم درس فى الأزهـــــر الشريف ، وتعمق فى علوم الحساب مما أهله للالتحاق بخدمة الحكومة .. فعمل موظفا يتولى الكتابة فــى الجبـايــا ت (الضرائـــب) بمدينة بلبيــس بمحافظة الشرقية .

ولكنه لم يستمر طويلا فى هذه الوظيفة وتركها .. زهـــدا ومللا .. وبعدا بنفسه عن جو الوظائف الفاسد .

وتفرغ الامام البوصيرى بعد ترك الوظائف للاشتغـــا ل بالأدب .. ونال شهرة كبيرة فى الشعر والنثر معا .. مـمـــا جعله مقربا من الطبقة الحاكمة .

وفى هذا يقول الشهاب بـن حجر : " كان البوصير ى رحمه الله تعالى من عجائب الله فى النظم والنثر ، ولو لم يكـــن له إلا قصيدته المشهـــورة بالبردة لكفاه فخرا ، وكذلك قصيدتـه الهمزية البديعة " .

وقد تناول الامام البوصيرى رحمه الله أوجه الشعر وأغراضه المختلفة من مدح وذم وهجاء وغير ذلك ... واشتهر كواحـــد من أظرف شعراء عصره .. حيث كانت تجرى فى شعرة النكـا ت المستملحة .. والصور البيانية الفكهة .

ومن أمثلة شعره تلك القصيدة الشاملة التى تناول فيهـــــا

المجتمع المصرى منتقدا العيوب المتفشية فيه فى شتى النواحى والاشخاص .. والتى يقول فيها :

خبرت طوائف المستخدمينا
فلم أر فيهموا رجلا أمينا
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم
مع التجريب من عمرى سنينا
فكتاب الشمال همو جميعا
فلا صحبت شمالهم اليمينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا
بهم فكأنهم سرقوا العيونا
ولولا ذاك ما لبسوا حريرا
ولا شربوا خمور الاندرينا
تنسك معشر منهم وعدوا
من الزهاد والمتورعينا
وقيل لهم دعاء مستجاب
وقد ملأوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة فخان كلّ
أمانته وسموه الأمينا
وما أخشى على أموال مصر
سوى من معشر يتأولونا

يقول المسلمون لنـا حقــوق

بـها ولنحن أولــى الآ خذ ينـا

وقال القبط نحن ملوك مصـــر

وأن سواهموا هــم غاصبــونـــا

وحللت اليهود بحفظ سبـــت

لهم مال الطوائف أجمعينـــــا

وفى دار الوكالة أى نهـــب

فليتك لو نهبت النــا هبينــــا

فقام بها يهود ى خبيـــث

يسوم المسلمين أذى وهـــونـا

إذا القى بها موسى عصـــاه

تلقفت القوافــل والسفينـــــا

وشاهدهم إذا اتهموا يـهو دى

عن الكــل الشهادة واليمينـــا

وهى قصيدة طويلـة جدا ٠٠ ذاعت شهرتها فى المجتمع وكانت تقال على لسان العامة والخاصة من أهل مصـــر ٠

والامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه فى هذه القصيـــدة مؤرخ ٠ ومصلح اجتماعى يتلمس أوجاع مواطنيه ويضع يـده علـى

عيوب المجتمع ، مطالبا المسئولين باصلاحها .

فمن الناحية التاريخية .. تعتبر القصيدة شاهدا على اختلاف الطوائف فى مصر فى ذلك الوقت ، والى أن ذلك لم يكن خافيا .

ومن ناحية الادارة الحكومية .. فالقصيدة شاهد على فساد هذه الادارة وظلمها للشعب واستنزافها للأموال العامة وانحطاط المستوى الأخلاقى لطبقة الموظفين المنحرفين .

وأخيرا فإن أقوات الشعب كانت نهبا لطائفة المستغلين من الموظفين واليهود ، التى لا ترعى فى الناس إلّا ولا ذمة بل على العكس من ذلك تماما .

وبذلك فإن الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه يوضح بدلالة قاطعة أنه ليس ذلك الشاعر الذى ينظم الشعر لمجرد الهواية .. وكذلك ليس هو بالشاعر الذى ينظم الشعر تقربا الى الحكام متكسبا به أوجه المعايش على حساب المبادئ .

ومن أمثلة الشعر الفكه للامام تلك القصيدة التى بعث بها الى ناظر الشرقية (محافظ) الذى كان قد استعار منه " حمارة " ولم يردها للامام .. فكتب له هذه الأبيات

على لسانها .

يا أيها السيد الذى شهدت
أخلاقه لى بأنه فاضل
ما كان ظنى يبيعنى أحد
قط ولكن صاحبى جاهل
لو جرسوه على من سفه
لقلت غيظا عليه يستاهل
أقصى مرادى لو كنت فى بلدى
أرعى بها فى جوانب الساحل

وقد استظرف ناظر الشرقية هذه الأبيات ورد " الحمارة" للامام .

ثم استقر الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه فى الاسكندرية ، وظل يتناول صناعة الأدب حتى تقدمت به السن .

وفى أخريات أيامه تصوف واتصل بامام الواصلين سيدى أبى العباس أحمد بن عمر المرسى الانصارى .. وقد صفت نفس الامام البوصيرى .. وخلص الى عبادة الله تعالى لا يشغله عن ذلك شئ .. حتى صار علما من أعلام الطريقة الشاذلية والاسلام .. حتى لقب بـ " شرف الدين " .

وتمثل هذه الفترة من كهولة الامام رضى الله تعالى عنه

وأرضاه أهم فترة فى حياته .. ففيها ذاع صيته .. وفيها عكست نفسه ما فيها من صفاء وصلاح وتصوف .. وأبدع من الشعر أجوده فى مدح سيدنا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .. فكانت هذه القصائد التى تعد من روائع البيان وأخلده .

ولست أجد هنا تعبيرا أفضل مما ذكرة الدكتور زكى مبارك فى كتابه " المدائح النبوية " فى كلامه عن الامام البوصيرى حيث قال (ص ٢٠٠) : " إن الاخلاص هو الذى مكن البوصيرى من ناصية المجد ، وهو الذى رفعه الى منزلة الخلود " .. ثم هو فى موضع آخر (ص ٢٢٦) يقول : حب البوصيرى للرسول خلق منه .. قيثارة نبوية .. "

وقد أبدعت هذه القيثارة النبوية فى مدح مولانا رسول الله عدة قصائد منها همزية مطلعها :

كيف ترقى رقيك الانبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك فى علاك وقد حا

ل سنا منك دونهم وسناء

وأيضا القصيدة اللامية التى عارض بها قصيدة كعب بن زهير " بانت سعاد " فى مدح المصطفى ﷺ يقول الامام :

الى متى أنت باللذات مشغـــول
وأنت عن كل مـــا قدمت مســئول
فى كل يوم ترجى أن تتوب غــدا
وعقد عزمك بالتسويف محلـــول
والمصطفى خير خلق الله كلهم
لــه على الرسل ترجيــح وتفضيل

ويبدو أن الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه قد قصـــر تناوله للشعر فى هذه الفترة من عمره على المدائح النبوية فقـــط .. ويؤيد هذا الرأى قوله رضـى الله تعالى عنه فى البردة :
ومنذ الزمت أفكارى مدائحـــه ...
وبذلك كان انتاجه غزيرا فى هذا المجال .. وهو أجوده علــى الاطلاق .. وأجود هذه القصائد فى المديح على الاطـــــلاق أيضـــا هى قصيدة البردة المباركـــة .. التى نحـن بصدد هـــا الآن .. والتى أصبحت علامة مميزة ليس فقط فى شعر الامـــــام البوصيرى .. بل فى المدائح النبوية بشكل عام .. بل إننــا لا نخالف الحقيقة اذا ما قلنا أنها أشهر هذه المدائـــح علــى الاطـــــلاق .

ويذهب الدكتور زكى مبارك فى كتابه المنوه عنه فى السابـــــق الى أبعد من ذلك فيقول : " ويمكن القول بأن جميع المدائـــح

النبوية التي قيلت بعد البوصيري على الوزن والقافيــة كــان أصحابها مسوقين بالروح البوصيريـــة .

وبهذا العمل العظيم .. البردة المباركة .. اختتم شاعرنا الامـام البوصيري رضي الله تعالى عنه وأرضاه حياتـــه التي ناهزت التسعين عاما .. وان كان قد اختلف في تاريخ وفاته .. فقال البعض أنها حدثت عام ٦٩٦ هـ .. وهـــو الأرجح .. وقال البعض أنها وقعت في رمضان عام ٦٩٨ هـ .. وقال آخرون أنها في ٦٩٧ هـ ، ٦٩٥ هـ .

ودفن الامام البوصيري بمسجده الشهير بالاسكندريـــة الذي يواجه مسجد شيخه ورفيق حياته سيدي أبي العبـــاس المرسي بميدان المساجـــد .

ومسجد الامام البوصيري كان في الأصل زاوية صغيرة توالت عليها الاصلاحات والتوسعات .. ويرجع تاريخ المسجد بشكلـــه الحالي الى عام ١٢٧٤ هـ .

وهو مبني على الطراز العربي ويكاد أن يكون مقسما الـــى ثلاثة أقسام تقريبا .. ،

ويتوسط الجزء الذي يضم رفات الامام القسمين الآخـــرين ويفضي من ناحية الـى" إيوان القبلة " أو صحن المسجد ومـــن

الناحية الأخرى الى "الميضأة" •• ويقع الضريح فى مواجهة الباب الرئيسى للمسجد •• ولمقام الامام رضى الله تعالى عنه مقصورة من الخشب المطعم •• تعتبر فى حد ذاتها قطعة فنية رائعة •

وهناك بابان أحدهما يفتح على الشارع الذى يحمل اسم الامام البوصيرى •• والآخر يفتح على شارع السيد كريم •

أما صحن المسجد أو "إيوان القبلة" فهو مربع الشكل على يساره عدد من الحجرات تستخدم حاليا كمكتبة وفى ادارة شئون المسجد ، وكانت فى السابق تستخدم كمصلى للسيدات •• ويتوسط هذا الصحن ستة من الأعمدة الرفيعة تحمل قبة كبيرة للمسجد تشغل حوالى نصف مساحة السقف الموشى بالرسوم والزخارف والآيات القرآنية •

وفى الناحية الشمالية من الايوان توجد المئذنة وهى رفيعة مسلية الشكل •

وللمسجد منبر خشبى رائع من الطراز العربى بجوار القبلة

والجزء الأخير من المسجد هو "الميضة" التى تعتبر هى الأخرى قطعة من الفن المعمارى العربى •• من الرخام •• واسعة •• تتوسطها نافورة •

البردة ما هى

ولعله قد آن الأوان لأن نتكلم عن البردة ذاتها .
وقصيدة البردة هى تلك القصيدة التى أنشأها الامام
البوصيرى رضى الله تعالى عنه فى مدح سيدنا رسول الله
وأسماها " الكواكب الدرية فى مدح خير البرية " .

أما سبب تسميتها " بالبردة " فهو ما رواه الامام
البوصيرى رضى الله تعالى عنه حيث قال :
كنت قد نظمت عدة قصائد فى مدح رسول الله ﷺ ومنها
ما كان اقترحه علىّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ،
ثم اتفق (حدث) بعد ذلك أن صاحبنى (أصابنى) فالج
(شلل) أبطل نصفى وعجز الأطباء عن شفائه ففكرت فى عمل
قصيدتى هذه فعملتها .. واستشفعت بها الى الله تعالى
فى أن يعافينى .. وكررت انشادها ، ودعوت ، ونمت
بعد أن توسلت .. فرأيت النبى ﷺ فمسح وجهى بيده
الكريمة .. والقى علىّ " بردة " (عباءة) فانتبهت
ووجدت فىّ نهضة (قدرة على الحركة) فقمت وخرجت من
بيتى .. ولم أكن أعلمت أحدا بذلك .. فلقينى أحد الفقراء
" الزهاد " .. (وكان أهل الطرق الصوفية يسمون أنفسهم بذلك)

فقال لى : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ﷺ .

فقلت : أيها (أى واحدة) ؟

فقال : التى أنشدتها فى مرضك ، وذكر لى أولها .. وقال والله لقد سمعتها البارحة (الليلة الماضية) تنشد بين يدى رسول الله ﷺ ورأيته يتمايل اعجابا بها ، والقى على من أنشدها بردته .

فأعطيته إياها ، وذكر الرجل ذلك وشاع المنام .

ويقول حسن العدوى فى كتابه " النفحات الشاذلية فى شرح البوصيرية " إن خبر القصيدة شاع حتى أن الصاحب بن بهاء وزير السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى استدعى الامام البوصيرى ، وطلب منه أن ينشد البردة ، وأقسم ألا يسمعها إلا قائما (واقفا) على قدميه مكشوف الرأس ، فأنشدها اياه ، وكتبها له البوصيرى بخطه ويقال أنها لم تزل عنده متبركا بها ، يقرؤها فى المهمات حتى مات وبقيت بعد ذلك عند ولده (١) .

وتتكون قصيدة البردة المباركة من ١٦٠ بيتا .

---

(١) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، د . سعاد ماهر ٢ ٩

وقد بلغ الاهتمام بالبردة حدا كبيرا دعا البعض الى إضافة أبيات عدة إليها تداولت على مر العصور حتى اعتبرها الكثيرون جزءا من البردة .. وإن كانت فى حقيقتها ليست كذلك .. ولا هى من تأليف الامام البوصيرى .

وهو وضع قديم ومتكرر مما أوقع كثيرا من طابعى البردة وشراحها ومن تناولوها لسبب أو آخر فى خطأ إحتسابها من البردة ، حتى أن بعض المصادر ذكرت أن أبياتها ١٨٢ بيتا (١) .

ومن الثابت أن أبيات البردة هى ١٦٠ بيتا فقط تنتهى بالبيت ..

ما رنحت عذبات البان ريح صبا

وأطرب العيس حادى العيس بالنغم

وما يلى ذلك البيت فى طبعات البردة هو من قبيل الاضافة أوردناه هنا تحت عنوان " تذييل لغير الناظم " حتى يكون هناك تركيز على ما سبق أن أوضحنا .

وأيضا هناك كثير من الطبعات أوردت فى مطلع القصيدة

---

(١) المدائح النبوية ، د . زكى مبارك ص ٢٠١

البيت الثالث :

الحمد لله منشى الخلق من عدم

ثم الصلاة على المختار فى القدم

وهو أيضا ليس من انشاء الامام البوصيرى ولكنه نسب اليه .

ولعل السبب فى هذا الخلط هو أن الصوفيين منذ القدم يبدأون تلاوتهم للبردة دائما بهذا البيت .

وقد قسمت أبيات البردة المائة والستون الى عشرة فصول بيانها كالتالى :

الفصل الأول : فى الغزل وشكوى الغرام
ويقع فى ١٢ بيتا

" الثانى : فى التحذير من هوى النفس
ويقع فى ١٦ بيتا

" الثالث : فى مدح النبى ﷺ
ويقع فى ٣٠ بيتا

" الرابع : فى مولده عليه ﷺ
ويقع فى ١٣ بيتا

" الخامس : فى معجزاته ﷺ

ويقع في ١٦ بيتا

الفصل السادس : في شرف القرآن الكريم ومدحه

ويقع في ١٧ بيتا

" السابع : في اسرائه ومعراجه ﷺ

ويقع في ١٣ بيتا

" الثامن : في جهاد النبي ﷺ

ويقع في ٢٢ بيتا

" التاسع : في التوسل بالنبي ﷺ

ويقع في ١٢ بيتا

" العاشر : في المناجات وعرض الحاجات

ويقع في ٩ أبيات

ثم يأتي بعد ذلك التذييل الذي سبق أن نوهنا عنه .

ومن الواضح أن هذا التقسيم تم بعد إنشاء القصيدة وأنه ليس من عمل الامام البوصيرى نفسه .. بل هو من وضع اللاحقين .. وذلك لأسباب عدة :

أولا لم تجر عادة المتقدمين من الشعراء في ذلك العصر الاسلامي المتقدم على تقسيم أبيات قصائدهم وأشعارهم الى مثل هذه الفصول والأبواب .. بل جرت العادة على تخصيص القصيدة لغرض واحد وأن تتواتر أبياتها دون فصل بينها .

ولعل من تناولوا البردة فيما بعد إنشائها .. أو في زمن لاحق لذلك .. قد قسموها في محاولة منهم لتسهيل قراءتها على أجزاء ، حتى تتاح الفرصة لتلاوتها في أوقات مختلفة في حالة عدم إمكان قراءتها كاملة دفعة واحدة .

ثانيا أن فصول البردة غير منقطعة الصلة بينها وبين بعضها البعض .. بل أن السياق متصل بين نهايات الفصول وبدايات التي تليها .. مما يشعرك بأن هذا التقسيم ليس الا في شكل الكتابة فقط .

ثالثا أن البردة طبعت وتناولها الكثيرون في السابق مئات المرات .. بآلاف النسخ .. دونما تقسيم .

والقصيدة في مجملها عمل فني رائع متكامل جمع الى سمو الفكرة وهي مدح سيدنا رسول الله ﷺ جمال التعبير وتمام الشكل اللغوى الذى صيغت به .

وقد ساعد الامام البوصيرى رضي الله تعالى عنه على صياغة ما جاش في صدره من مشاعر الحب والمديح لسيدنا المصطفى ﷺ لغة تمكن من أسبابها حيث هو الأديب المتمرس ، وهو أيضا الصوفى .. الصافى .

ونورد فيما يلى (ص ٥٠) شرحا اجماليا لكل فصل من البردة نتبعه بشرح تفصيلى لمعانى مفردات أبيات هذا الفصل كل بيت على حدة نتبعه بشرح اجمالى لهذا البيت .. وهكذا حتى نهاية أبيات البردة المباركة .

أهمية البـردة

حظيت بردة المديح المباركة بما لم يحظ به أى نـــص عربى آخر من الاهتمام .. سواء كان هذا النص شعرا أم نثـرا .. فمنذ نظمها فى أواخر القرن السابع الهجرى الى يومنـــا هذا لم يكف النـاس عن تناولها بالقراءة .. والبحـــث .. والشرح .. والمعارضة (المحاكاة) .. والترجمة .

ولا شك أن السبب الأصلى فى ذلك يرجع الى ما كتبت بــه البردة من إخلاص .. وما كتبت لأجله من غرض سام هو مــدح سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ويظهر ذلك من أن السبب المباشر لهذا الذيوع والإنتشار يرجع الى أن المسلمين فى كافة الأقطار الاسلامية وغير الاسلاميـة خاصة المتصوفة منهم قد تداولوا البردة .. قراءة .. وحفظـا .. وترديدا .. كما جعلها كثير من الأئمة الصوفيين ضمـــن أورادهم التى يتقربون بها الى الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ ويلزمون بها أتباعهم ومريديهم .

فهذه هى البردة تتردد صباحا ومساء بشكل فـــردى وجماعى .. على السنة العامة والخاصة .. فى البيوت والمساجد .. فى المناسبات والاحتفالات الدينيـة .

واذا كان هذا شأن عامة المسلمين .. فلا يمكن لأحـــد

أن ينكر أن كثيرا من علماء الأزهر الشريف الأجلاء كانوا يعقدون حلقات الدراسة فى هذا المعهد العريق لتدارس البردة وشروحاتها .. وقد ذكرت بعض الدراسات التى تناولت البردة أنه كانت تعقد لها دروس بالأزهر الشريف يومى الخميس والجمعة من كل أسبوع بشكل منتظم ودائم . (١)

بل أن بعض الدراسات ذهبت الى أبعد من ذلك حيث ذكرت " أنه مضت سنون لم يكن يعرف فيها الأزهر كيف تكون دروس التاريخ الاسلامى فكانت البردة وشروحها مما يسد النقص فيه " . (٢)

ولا نعتقد أن نصا عربيا تمت طباعته على مستوى العالم العربى والاسلامى .. بل وغير الاسلامى .. بهذا القدر الذى نالته البردة المباركة .. فعلى طول البلاد التى وجد بها مسلمون وعرضها تمت طباعة البردة آلاف المرات .. بملايين النسخ .

وحظيت مصر طبعا بنصيب الأسد بالنسبة لعدد مرات الطباعة .. وبالنسبة لعدد النسخ التى تم طباعتها .

---

(١) المدائح النبوية فى الأدب العربى لزكى مبارك ص ٢١٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١٩

وقد تدرجت طبعات البردة المختلفة بين الطباعة العادية بحروف المطبعة الى طبعات منسوخة باليد بخط جميل .. موشى بالذهب أحيانا .. مثلما كانت تخط المصاحف الشريفة .

واختلفت الطبعات فيما بينها .. فبعضها خصصت للبردة فقط .. لنشرها كمتن (كنص) أوشرحها أو تناولها بذاتها لسبب أو آخر .. وبعضها وردت فيه البردة من بين ما تضمنه من مواد .

وإذا كان هذا هو موقع البردة المباركة من الشعوب الاسلامية والمسلمين عامة فى غير البلاد الاسلامية فإن موقف المتخصصين من أبناء الأمة الاسلامية كان أكثر إيجابية ... فعلى مستوى أهل اللغة ... وأهل التصوف ... فاق الاهتمام بالبردة كل وصف .. وليس أدل على ذلك مما لاقته البردة من شرح وتعليق ومعارضة وتشطير على مر العصور الاسلامية المختلفة .

ويكفى للدلالة على اهتمام المتخصصين من العلماء بالبردة أن نستعرض بيانا بأسماء بعض المؤلفات التى تناولتها والمحفوظة بدار الوثائق القومية (دار الكتب) .

١ - البردة وتحت كل بيت ترجمته بالفارسية والتركية

ومعها ترجمتها باللغة الألمانية (أدب ١١٢١، ١١٦٧).

٢ - حاشية ابراهيم الباجورى على متن البردة (أدب ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٧٨٤ الى ٧٨٦) .

٣ - حاشية تأليف ابراهيم بن محمد بن أحمد الباجورى الشافعى (أدب ١١٩٨ ، ١٢٧٧) .

٤ - حاشية تأليف ابراهيم الباجورى بن محمد الجيزاوى بهامشها شرح خالد الأزهرى على البردة " (أدب ١٠٨٢ ، ١٠٨٣)

٥ - محمد بن سعيد البوصيرى ، الأنوار المضية فى مدح خير البرية ، وهو شرح للشيخ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد ابراهيم بن أحمد المحلى الشافعى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ نسخة فى مجلد مخطوط سنة ١٠٤٢ هـ فى ٢٠ ورقة (ز ١٣٨١٣)

٦ - أبيات شعرية من بردة البوصيرى مطبوعة سنة ١١٦٦ هـ (م ١٠٨٣ ، ١٠١٨٤ ، ١٠٨٥)

٧ - البردة ويليها القصيدة المصرية فى الصلاة على خير البرية ، وبهامشها نظم أسماء أهل بدر لابراهيم السنوسى (٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣).

٨ - البردة نظم البوصيرى شرح عمر بن أحمد الخربوتى القاهرة ١٢٧١ هـ (أدب ٨٣) .

٩ - البردة نظم البوصيرى ، وبهامشها خواص البردة للشيخ عبد السلام المغربى (أدب ٤٦٦ ، ٧٧٧) .

١٠ - البردة : البوصيرى (أدب ٧٧٧، ٧٨٣).

١١ - البردة يليها القصيدة المضرية (أدب ٦٤٤، ٦٤٥، ٧٧٨ ، ٧٧١ ، ٧٨٠ ، ٧٧٩ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ١٨٩٠ ، ٩٧٥ ، ز ١٩٧٠) .

١٢ - البردة وبهامشها حزب البيوس وحزب الـدور الأعلى وغيره (تصوف ٣٥٧٦ ، ٣٥٧٧ ، أدب ١١٢١ ١١٦٧).

١٣ - البردة والهمزية (ضمن مجموعة) (ز٢٥ ٢٣٠)

١٤ - تخميس البردة للبوصيرى (ضمن مجموعة فى مجلد مخطوط ، الكتاب الأول) (ز ١٣٥١٠) .

١٥ - تخميس بردة البوصيرى ، نسخة فى مجلد بقلم معتاد سنة ١١٤٥ هـ فى ١٨ ورقة (ز ١٣٥١١) .

١٦ - تسبيع البردة تأليف أحمد بن الرفاعى (ضمن مجموعة مخطوطة ، الكتاب الثانى) (ز١٣٥١٠) .

١٧ - تسبيع البردة للبوصيرى تأليف السيد حسن (ضمن مجموعة مخطوطة ، الكتاب الثالث) (ز ١٣٥١٠).

١٨ - شرح الكواكب الدرية فى مدح خير البرية المعروفة بالبردة تأليف الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد بن أبى

بكـــــر (ز ١٢٨١٥) •

١٩ ـ شرح الكواكب الدرية فى مدح خير البرية تأليــــف الشيخ خالد بن عبد الله بن أبى بكر الأزهــرى(ضمن مجموعـة مخطوطة من ورق ١٧٣ ، ١٨٩) حـ(هـ • ٣٤٩٠) •

٢٠ ـ شرح الكواكب الدرية فى مدح خير البرية المعروفة ببردة البوصيرى • تأليف محمد البسطامى الشاهروى المتوفــى سنة ٨٧٥ هـ (نسخة فى مجلد بقلــم وتعليق بخط محمـــد سيدى خواجة المتوفى سنة ٩٢٢ هـ) و (ز ١٧٣٨٣) •

٢١ ـ البردة باللغتين العربية والالمــانيــــــــة (أدب ١١٢١) •

٢٢ ـ البردة باللغة العربية والالمانية (أدب ١١٦٧)

٢٣ ـ الكواكب الدرية فى مدح خير البرية وبــه مقدمــة باللغــة الالمانية (أدب ١١٦٧) •

وما تقدم هذا لا يعد ـ على كثرته ـ حصرا لمــا تنـــاول البردة من مؤلفات •• بل هو استعراض فقط لبعض هــــذه المــؤلفــات •

وقد تناولت هذه المؤلفات قصيدة البردة المباركة مـــــن شتى نواحيها الدينية والأدبية واللغوية والتــاريخية •

على أن الاهتمام بالبردة لم يقتصر على هذا النفر مـــــــن

اللغويين والعلماء والمتصوفة ، بل امتد الى الشعراء ...
فتناولها الكثيرون منهم بالدراسة والمحاكاة ، وأدخلوها في أعمالهم الشعرية .. ونورد فيما يلي بعض هذه الأعمال .

فبعضهم " ضمنها " بمعنى أن يجعل من بعض ألفاظها جزءا مما ينظمه من شعر كقول الشيخ قاسم :

أمن تذكر أوطان على علم
أم من تفقد جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى كالقطر منهمرا
يجرى على وجنة من مقلة بدم

وبعضهم "شطرها" بمعنى أن يأخذ شطرا من البيت من البردة ويضيف اليه شطرا من تأليفه ، وذلك مثلما فعل أحمد بن شرقاوى الخلفى الذى قال :

أمن تذكر جيران بذى سلم
أصبحت ذا خلد بالوجد مصطلم
أم من تفتت فى الحشا شغفا
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وأحمد بن عثمان العواص الذى قال :

أمن تذكر جيران بذى سلم
جزمت أنك مقصور على الألم
وعندما هاجت الذكرى ولوعتها

مزجت دمعا جرى من مقلـــة بدم

وغير هذه الأمثلة على تضمين وتشطير البردة كثير جدا ..
وعلى مر العصور .. قدمه المئات من الشعراء .. من المصريين
وغير المصريين من العرب على اتساع العالم العربى .. وأيضا
غير العرب .

وهناك عشرات من الشعراء الذين قاموا "بتخميس" البردة ..
وذلك بأن يجعل من شطرى البيت من البردة جزئين من خمســة
أجزاء بأن يضيف من تأليفه ثلاثة أجزاء أخر . ومثال ذلـــك
ما قاله ناصر الدين الغيومى :

ما بال قلبك لا ينفك ذا الـم

مذ بان أهل الحمى والبان والعلم

وانحل دمعك القانى بمنسجـم

أمن تذكر جيران بذى سلـــــم

مزجت دمعا جـرى من مقلة بدم

وهناك أيضا عشرات من الشعراء " سبعوا " البردة ..
بأن يجعلوا شطرى البيت من البردة فى نهاية خمسة أجـــزاء
من تأليفهم . ومثال ذلك ما كتبه شهاب الدين أحمد بن عبد
الله المكى :

الله يعلم كم بالقلب من ألـــم

ومن غرام بأحشائى ومن سقـــــم

على فراق فريق حل بالحرم

فقلت لما هى دمعى بمنسجم

على العقيق عقيقا غير منسجم

أمن تذكر جيران بذى سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وقد التزم هذا الشاعر أن يذكر لفظ الجلالة " الله " فى أول كل بيت فى تسبيعه (الله يعلم .. الخ) كما تقدم

بينما التزم شاعر آخر أن يذكر اسم سيدنا رسول الله ﷺ " محمدا " فى أول تسبيعه ، كالبيت التالى من قصيدة محمد المصرى :

محمد جاء بالآيات والحكم

مبشرا ونذيرا جملة الأمم

... الخ

وأيضا قام بعض الشعراء " بتعشير" البردة .. بمعنى أن يكون شطرى البيت من البردة جزأين فى نهاية عشرة أجزاء أى بعد ثمانية أشطر من تأليف الشاعر .

على أن أكثر الشعراء تناولوا البردة المباركة " بالمعارضة" بمعنى أن ينسج الشاعر على منوالها بنفس " القافية والوزن" والأمثلة على ذلك كثيرة .. كثيرة .. بعضها قديم وبعضها الآخر حديث .

ومن ذلك ما كتبه أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن جابر الاندلسى الذى قال :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم

وانشر له المدح وانشر أطيب الكلم

....

أما معانى المعنى فهى قد جمعت

فى ذاته فبدت نارا على علم

كالبدر فى شيم والبحر فى ديم

والزهر فى نعم والدهر فى نقم

ويقول الدكتور زكى مبارك فى كتابه " المدائح النبوية فى الأدب العربى " ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ " ان ما كتبه ابن جابر الأندلسى فى معارضة البردة قد أدى الى ابتكار فن جديد من فنون اللغة العربية هو " البديعيات " وذلك بأن يكون كل بيت من أبيات القصيدة يشير الى فن من فنون البديع .

وقد عارض البردة أيضا الشيخ أحمد المحلاوى بقصيدة أسماها " منهاج البردة " قال فيها :

يا غافر الذنب من جود ومن كرم

وقابل التوب من جان ومحترم

ومسبل الستر احسانا ومرحمة

على العفاة بفيض الفضل والكــــرم

اقبل متابى واغفر ما جنته يد ى

واستر عيوبى وباعد نــى عن التهـــــم

كما عارضها شاعرنا محمود سامى البارود ى فى قصيــــــد ة طويلة بلغ عد د أبياتها ٤٤٧ بيتا مطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم

واحد الغمام الى حى بذ ى سلـــــم

وأعتقد أنه ليس من بين معاصرينا من لم يسمع " أم كلثوم " تشد و برائعة شوقى " نهج البرد ة " التى مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم

أحل سفك د مى فى الأشهر الحر م

وأخيرا فا ن البرد ة كانت موضوع عمل مسرحى عظيم . كأمسية شعرية اشترك فى القائها تمثيلا عد د من أكبر فنانينا منهم كــر م مطــاوع ، عبد الرحيم الزرقانى ، عبد الوارث عسر ، عبـــد الله غيث ، محمد السبع ، جلال الشرقاوى وفرد وس عبـــــد الحميد وأعد موسيقاها الد كتور يوسف شوقى ، ونقل التليفزيو ن وقائعها من موقعها على د رج السلم أمام مسجد سيد ى الامام البوصيرى بالاسكند ريـــة ، حيث كانت تعرض أمام جماهـــير الشارع المصرى ، وكان ذ لك أيام ٢٢ ، ٢٣ من رمضـــــان المبارك عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٩ م .

وهكذا نرى أن البردة المباركة قد نالت اهتمام مختلف الطبقات والتخصصات فى كثير من الأمم ٠٠ إسلامية وغير إسلامية ٠٠ عربية وأعجمية ٠

وقبل أن نترك هذا المجال أعود لأقول أن ما أقدمه هنا بين طيات هذه الصفحات من جهد متواضع ليس محاولة للوقوف فى صف واحد مع هؤلاء الفحول الذين تناولوا البردة المباركة بصورة أو أخرى على مر العصور ٠٠ ولكنه فقط محاولة لتبسيط معانيها ٠٠ وإجلاء أسرارها ٠٠فى زمن يتطلب ذلك حتى تصير مفهومة للعامة قبل الخاصة ٠٠ وان كنت أعتقد أن للخاصة أيضا ما يستمتعون به بين طيات هذا الكتاب ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحَمْدُ لِلّهِ مُنْشِى الخَلْقَ مِنْ عَدَمِ
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى المُخْتَارِ فِي القِدَمِ

يبدأ الصوفيون تلاوتهم للبردة المباركة دائما بهذا البيت .. فهم يبدأون دائما بحمد الله تعالى والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم .

ولعل ذلك هو الذى أوقع الكثيرين الذين تناولوا البردة كتابة وطباعة وشرحا وغير ذلك فى خطأ اعتباره من البردة وإن كان غير ذلك كما سبق أن نوهنا .

وهو بيت جيد المعنى جيد الصياغة ، جاء على نسق البردة تماما ، وهو عظيم الهدف حيث يفتتح تلاوة البردة بشكر الله وحمده تعالى والصلاة على رسوله المصطفى صلى الله

عليه وسلم .. حيث حصر الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه كلامه فى مديح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط فرأى البعض تدارك هذا الأمر بإضافة هذه البداية الكريمة استكمالا لروعة وعظم البردة المباركة .. ولا شك أن نبل المقصد وطهارته له تقدير فى هذا المقام .

. . . .

والآن الى تفاصيل البيت

. . . .

معانى المفردات

منشى	: منشئ ، مبدع ، من أنشأ أى أوجد من العدم
عدم	: فقد ، شئ غير موجود
المختار	: هو سيدنا رسول الله ﷺ
القدم	: الزمن السابق

الاجمالى

نبدأ بشكر الله تعالى الذى أوجد وأبدع المخلوقات من لا شئ وبدون سابقة وجود ، ثم نطلب الرفعة والمجد والشرف لسيدنا رسول الله ﷺ الذى اصطفاه المولى عز وجل منذ الأزل .

مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا
عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ

يكرر الصوفيون تلاوة هذا البيت عقب كل بيت من أبيات البردة عند قراءتها .. تمثلا بما كان يفعل الامام البوصيرى نفسه عندما كان يقرأها .

أما لماذا كان يفعل الامام رضى الله تعالى عنه ذلك فلسبب ذكره الامام البوصيرى نفسه ... استكمالا لما رواه عن كيفية انشاء البردة المباركة وذيوعها .. مما ذكرناه فى حينه

قال الامام رضى الله تعالى عنه .. " عندما انتهيت من إنشاء البردة رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فأنشدتها بين يديه فلما انتهيت الى البيت .. فمبلغ العلم فيه أنه بشر .. سكتّ ولم أقدر على تكميل البيت ، فقال عليه الصلاة والسلام : إقرأ .. فقلت : يا رسول الله إننى لم أوفق للمصراع (أى للشطر الثانى من البيت) فقال

لى عليه الصلاة والسلام .. قـال .. " وأنـه خير خلـق اللـه كلهـم " .. فأدرجت المصراع فى البيـت المتقدم .. وجعلته صلاة متكررة بعد كل بيت حرصا علـى لفظه صلى الله عليه وسلم .

وعليه صار على كل من يحاول أن يقـرأ البردة المباركـة تمام قراءتها أن يكرر هذا البيت بعد كل بيت من أبياتهـا وإن شـق عليه ذلك فليكرر ، بعد كل فصل من فصولهـا .

ومـا يروى فى هذا الصدد أن الامام الغزنـوى رحمـه الله كان يقرأ البردة فى كل ليلة ليرى النبى ﷺ فى منامـه فلم يتيسير له ذلك .

وشكى الغزنوى ذلك الى أحد الشيوخ الكرام ، فاستوضح منه الشيخ فلعله لا يراعى شرائطهـا ، فأجابه بأنه يراعيهـا كما يجـب .

فراقبه هذا الشيخ فيما يفعل .. ثم أوضح له أنه فعـلا لا يصلى الصـلاة التى كان يصلـى بهـا الامام البوصـيرى .. وقـص عليـه القصة المتقدمـة .

. . . .

والآن الـى تفاصيـل البيـت

. . . .

معانى المفردات

أبـدا	:	الأبد هو الدهر الطويل غـير المحدود
صلاة	:	وفاء ، تعظيم ، رفعة ، بركة
سلام	:	سكينة ، طمأنينة ، خـلاص ، خلو من الآفات

المعنى الإجمالى

يـــارب اجعل رحمتك وبركتك وسكينتك وأمنك دائما والى قيام الساعة على سيدنا محمد ﷺ الذى أحببته والـذى هو أفضل خلقك أجمعين .

الفصل الأول

فى الغــزل وشكوى الغرام

يتكون هذا الفصل من ١٢ بيتا .

وقد بدأ الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه قصيدته المباركة فى مدح النبى ﷺ بالغزل وشكوى الهوى .

وقد يرى البعض أن ذلك الغزل والهوى ليس هنا مقامه فى هذه القصيدة التى وضعت أصلا كمديح لسيدنا رسول الله ﷺ .

ولكنه من الواضح أن الامام البوصيرى سار فى إنشائه للقصيدة على نحو ما كان يفعل الشعراء العرب فى العصر الجاهلى ، وهو الأمر الذى استمر فى صدر الاسلام وما بعده الى زمن ليس بالقصير .

وقد قال كثير من الشعراء فى العصر الاسلامى فى النبى ﷺ كثيرا من قصائد المديح التى تبدأ بالغزل .

فهذا كعب بن زهير يبدأ قصيدته الأولى فى مدح

سيدنا رسول الله ﷺ بالأبيات :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

وما ساد غداة البين إذ رحلوا

الا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة

لا يشتكي قصر منها ولا طول

تجلوا عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت

كأنه منهل بالراح معلول

وهذا حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ يقول في قصيدة له في مدحه ﷺ .

عفت ذات الأصابع فالجواء

الى عذراء منزلها خلاء (١)

.....

وكانت لا يزال بها أنيس

خلال مروجها نعم وشاء

فدع هذا ولكن من لطيف

يؤرقني اذا ذهب العشاء

---

(١) ذات الأصابع والجواء وعذراء أسماء مواضع بالشام .

لشعثاء التى قد تيمته

فليس لقلبه منها شفاء

وأيضا مدح الأعشى سيدنا رسول الله ﷺ بقصيدة مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا

وعادك ما عاد السليم المسهدا (١)

وما ذاك من عشق النساء وإنما

تناسيت قبل اليوم خلة مهددا (٢)

وهذا ابن الفارض رضى الله تعالى عنه أيضا يمدح سيدنا رسول الله ﷺ فيقول :

هل نار ليلى بدت ليلا بذى سلم

أم بارق لاح فى الزوراء فالعلم

أرواح نعمان هلا نسمة سحرا

وماء وجرة هلا نهلة بفم

يا لائما منى فى حبهم سفها

كف الملام فلو أحببت لم تلم

على أن الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه لم يكتب

---

(١) السليم : هو الملدوغ يسمى بذلك تفاؤلا بسلامته

(٢) الخلة : المودة والحب • مهدد : من أسماء النساء

الغزل للغزل ولا هو تشبب بسعاد ولا شعثاء ولا ليلى ولكنه يشكو الشوق الى أماكن ضمت سيدنا رسول الله ﷺ مثل ذى سلم وهو جبل لطيئ يقع شرق المدينة المنورة تجاه مكة المكرمة ، وكاظمة وهو موضع بالمدينة المنورة على الطريق الى مكة المكرمة أيضا ، وإضم وهو واد أسفل المدينة المنورة ... وشوقه رضى الله تعالى عنه هنا منصب على من سكن هذه الأماكن كالشاعر الذى قال :

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى
ولكن حب من سكن الديارا

والامام البوصيرى فى سياق النص يؤكد هذا المنحى (الاتجاه) فى الشرح فهو يقول :

أمن تذكر جيران بذى سلم ...

ثم هو يذكر الأماكن المرتبطة بالمشاعر الدينية والتى سبق أيضا وضمت سيدنا رسول الله ﷺ .

ويؤكد نفس المعنى من جديد فى قوله :

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى اليك ولو أنصفت لم تلم

فهذا الحب الطاهر العفيف لا يتعلق بجنس ولا شهوة

وهو أعلى مراتب الحب الإنسانـى .

وفى بقية هذا الفصل يرسم الامام للمحب صورة بارعـــة شديدة الدقة صادقة التعبير .

فهذا المحب تجرى دموعه غزيرة مجهدة لعينيه حـتى بدت وكأن الدمع فيها قد اختلط بالدم (**مزجت دمعا جرى من مقلة بدم**) ولا سبيل للسيطرة عليها فكلما حاول ذلك زاد ادرارهما للدموع (**فما لعينيك إن قلت أكففا همتا**) وكذلك لا سبيل الى السيطرة على قلبه الذى كلما حـاول أن يخرجه من حالة عدم الوعى التى أصابته زاده ذلك فى التمادى فى الهيام (**وما لقلبك إن قلت استفق يهم**) .

ويتساءل الامام عن أسباب هذا .. والسؤال هنـا بلاغى فقط أى متعلق بفصاحة الكلام ... فهـــو لا يطرحه (يسأله) ليتلقى عليه ردا مـا ... بـل هـو سؤال تلحقه إجابته ... وهى أن مـا أصاب هـــذا المحب إنما حدث لأنـه إما تذكر من سبق وأقام بهـــذا الموضع (**أمن تذكر جـيران بذى سلم**) ، أو أن الريح قد هبت وهاجت والبرق قد أومض ولمع من اتجاه بعض هذه الأماكن فذكره بحبه لمن كان فيها (**أم هبت الريح من تلقاء كاظمة : وأومض البرق فى الظلماء من إضم**) .

وسياق النص بعد ذلك يؤكد أن هذه الاسئلـــة

السابقة ما طرحت إلا لتقرير واقع وتأكيده ... فهو يعود ليتساءل بشكل تقريرى ... هل يظن المحب أنه يمكنه أن يخفى ما به وقد أظهرته هذه الدموع الجارية والقلب المضطرب (**أيحسب الصب أن الحب منكتم : ما بين منسجم منه ومضطرم**) فلولا أنه محب تملكه الهوى ما سكب الدمع على الأطلال الباقية من ديار الأحباب ولا أسهده ذكر الأماكن التى ضمت من يحب (**لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل : ولا أرقت لذكر البان والعلم**)

ويعود الامام ليطرح سؤالا استنكاريا ... فهو يقول لهذا المحب كيف تحاول انكار هذا الحب وقد أفصحت عنه (بينته وكشفته) وأكدته دموعك التى تجرى وأيضا هذا الضعف والهزال والمرض ، وهى دلائل صادقة لا يمكن إنكارها (**فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت : به عليك عدول الدمع والسقم**) بل أن الحب والشوق والحزن قد أدوا الى أرقه وضعفه حتى علت وجهه علامات الاجهاد والمرض التى أدت الى تغيير فى لون وجه هذا المحب وكأن الدمع والضعف قد رسما خطين مختلفى اللون أحدهما أصفر والآخر أحمر على خدى هذا المحب (**وأثبت الوجد خطى عبرة وضنى مثل البهار على خديك والعنم**) البهار أحمر والعنم أصفر .

وازاء (تسليما) كل هذه الدلائل الواضحة التى

لا يمكن إنكارها والبراهين الثابتة التى يجد المحب نفسه أمامها فليس هناك مناص (مفر) من الاعتراف بأنه فعلا قد أسهده طيف حبيبه الذى طاف به ليلا وأن هذا الذى به من سقم وألم سببه الحب الذى يحول بين الانسان وبين ما كان ينعم به من راحة (**نعم سرى طيف من أهوى فأرقنى : والحب يعترض اللذات بالألم**) .

وبعد هذا الاعتراف والاقرار بالواقع يحاول المحب أن يلتمس لنفسه الأعذار بإيضاح أن هذا الحب عذرى طاهر وأن هذا اللائم لوكان عادلا لما فعل ذلك (**يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة : منى إليك ولو أنصفت لم تلم**) فالحال التى عليها المحب قد جاوزت اللائم الذى ينصح وشاعت حتى تناولتها الألسن فما استتر سر حبه ولا انتهى ما أصابه (**عدتك حالى لا سرى بمستتر عن : عن الوشاة ولا دائى بمنحسم**) .

ولكن المحب بالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من معرفته واعترافه بصدق النصيحة الموجهة إليه وإخلاصها فهو لا يستجيب لها شأنه فى ذلك شأن كل المحبين الذين لا يلقون بالا الى ما يوجه اليهم من نصح (**محضتنى النصح لكن لست أسمعه : إن المحب عن العذال فى صمم**) فالمحبّ يشك فى نصح الشيب وانذاره إياه بالرغم من أن الشيب هو

أبعد ما يكون عن الصفات التي تدعو للشك مثل عدم الخبرة أو الحسد والطمع ، وهى الصفات التي قد تكون وراء هذا النصح (إني اتهمت نصيح الشيب في عذل : والشيب أبعد في نصح عن التهم) وفي هذا البيت تشبيه رائع للشيب بأنه ناصح أمين ونذير مبين .

ويحتوى هذا الفصل على عبارات تعتبر حقائق ثابتة جيدة الصياغة بما يناسب المعنى :

أيحسب الصب أن الحب منكتم

ما بين منسجم منه ومضطرم

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ....

.... الحب يعترض اللذات بالألم

.... إن المحب عن العذال في صمم

.... الشيب أبعد في نصح عن التهم

....

والآن إلى تفاصيل هذا الفصل

....

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

معاني المفردات

جيران	:	جمع جار بمعنى مجاور فى السكن والمقصود هنا الأحبة
ذو سلم	:	جبل لطيئ شرق المدينة المنورة تجاه مكة المكرمة
المزج	:	الخلط الكامل حتى يصير الشيئان وكأنهما شيئا واحدا
جرى	:	سال بشدة كناية عن كثرة البكاء
المقلة	:	العين ، سوادها وبياضها وهى مفرد ولكن جرى العرب على اطلاقها على المثنى

الاجمالى

الهمزة فى (أمن) للاستفهام ومن للتعليل أى لبيان السبب وهى متعلقة بكلمة المزج ، فالامام يتساءل عن سبب هذه الحال الذي عليه المحب من البكاء الشديد الذى أجهد العين حتى وكأن الدمع الذى جرى منها قد اختلط بالدم ... يتساءل هل حدث ذلك حينما تذكر جيران له بهذا الموضع من المدينة المنورة لشدة الشوق والحب .

والامام البوصيرى هنا وفى البيت التالى يشير الى الأماكن

التي كانت تضم رسول الله ﷺ .

وهذا يشير بشكل واضح الى أن الغزل هنا لا يتعلق بالنساء ، وانما جاء تمشيا مع ما جرى عليه الشعراء السابقون من افتتاح القصائد بالغزل .

والحب والشوق هنا متعلق بشخص سيدنا رسول الله ﷺ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

معانى المفردات .

هبت	:	هاجت
تلقاء	:	ناحية
كاظمة	:	موضع بالمدينة المنورة على الطريق الى مكة المكرمة
أومض	:	لمع
الظلماء	:	المقصود الليلة الظلماء ، أى ذات الظلمة
إضم	:	واد أسفل المدينة المنورة

الاجمالى

الهمزة فى (أم) للاستفهام ، فالامام يستمر فى التساؤل فربما كان سبب هذه الحال التى ذكرت هو الريح التى جاءت من ناحية المدينة المنورة والتى حركت الشوق والحب

أو قد يكون ذلك سببه البرق الذى لمع من هذا الوادى أسفل المدينة المنورة المسمى إضم .

وفى ذلك استمرار فى الكناية عن حب النبى ﷺ بذكر الأماكن التى ضمته ﷺ .

والتعبير بكلمة الريح هنا فيها بلاغة وتمكن من اللغة لإيراد كلمة مناسبة للحال تماما لأن الريح مفرد والرياح جمع وإن كان الجمع أقوى من المفرد فى التعبير عموما ، إلا أن المفرد هنا أنسب لأن كلمة الريح تستخدم للعذاب بينما كلمة الرياح تستخدم لبيان الرحمة ، وذلك من قوله ﷺ " اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا " ، فالتعبير بالريح يعنى عذاب المحب .

ومعنى هذا البيت وسياقه متصل بالبيت السابق لأنه يستكمل التساؤل عن هذه الأشياء التى أدت الى الحال التى هو عليها من مزج الدمع بالدم ، فهل هى التذكر أم هبوب الريح أم وميض البرق فى الظلام .

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا

وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

معانى المفردات

اكففا : امنعا دمعكما وامسكا عن البكاء

همتا : انحدر دمعهما على الخدود والأصل القول همى دمعهما من الهمى وهو الانحدار

استفق : أصلها أفق والسين والتاء زائدتان ، أى ارجع الى رشدك

يهم : فعل مضارع مجزوم من هام الانسان على وجهه اذا لم يدر أين هو .

الاجمالي

الفاء فى (فما) للعطف على ما سبق من حال المحب والبحث عن سبب ذلك ، والميم للاستفهام عما يلى .

فهنا يتساءل الامام إذا لم يكن الشوق والحب هو سبب هذه الحال فما السبب فى أنه كلما حاول أن يكف عيونه عن الدمع زاد هذا الدمع وانحدر على الخدود ، وأنه كلما حاول أن يجعل قلبه يرجع الى رشده تمادى واستمر هذا القلب فى حالة عدم الوعى وزاد جنونه .

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

معانى المفردات

يحسب : يظن
الصب : العاشق المغرم

منكتم : مستور
منسجم : انسجم الدمع أو الماء: سال وانحدر ، أى الدمع المسال الهاطل
مضطرم : المشتعل ، الملتهب ، والمراد به الفؤاد الملتهب

الاجمالى

الهمزة فى (أيحسب) للاستفهام الاستنكارى أى أن السائل يعيب على المسئول محاولة الانكار .

فينتقل الامام الى نوع من تقرير الحقيقة بالنسبة لمن هو فى حال الحب فيقرر أن الحب لا يمكن إخفاؤه أو ستره ، فإن الدمع المسال وكذلك الفؤاد والقلب الملتهب شوقا سيعلنان عنه فهما ظاهرين واضحين .

ولفظ منه هنا يعود على المحب ، أى دمع جار من المحب ، وفؤاد ملتهب شوقا .

لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ
وَلَا أَرِقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

معانى المفردات

الهوى : الحب
ترق : حالة الجزم من تريق ، أى تسكب

الطلل	: الأثر الباقى من الديار فإن كان مرتفعا عن الأرض سمى طللا وإن كان ملتصقا بالأرض سمى رسما
أرقت	: أصابك السهد وعدم النوم ، أى سهرت
البان	: شجر يسمق ويطول فى استواء وله رائحة طيبة ، واحدته بانة والبان أيضا موضع بمكة المكرمة ينبت فيه هذا النبات بكثرة
العلم	: الجبل ، وهو أيضا موضع بمكة المكرمة

الاجمال

لولا حرف يدل على امتناع الشئ لوجود غيره ، أى أن الامام يستمر فى شرح دعواه بأن الحب لا يمكن إخفاؤه ، فيقول أنه لولا وجود هذا الحب لم يكن البكاء على هذه الأماكن ولا أصابه السهد وفارقه النوم بذكرها .

وهنا تستمر الاشارة الى أن المقصود بالحب هنا هو سيدنا رسول الله ﷺ فالبان والعلم ، اللذين ذكرا فى هذا البيت هما موضعان بالحجاز .

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًا بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

معاني المفردات

تنكر : تجحد ، والجحد هو نفي الشئ رغم العلم بصحته على سبيل المغالطة وهو ضد الاعتراف

شهدت : قررت

عدول : جمع عدل بمعنى عادل في حكمه ، وهو الشاهد بالحق ، شهادته يقتنع بها ولا يمكن ردها

السقم : المرض

الاجمالي

ويستمر الامام في تقرير حقيقة أن الحب لا يمكن ستره وكتمانه فيتساءل كيف يمكن ذلك .

فالفاء في (فكيف) للافصاح أي بيان شئ غير وارد في الكلام ، وكيف حال للاستفهام الاستنكاري أو التعجب بمعنى تغليط هذا الموقف أو عدم الموافقة عليه ، فبعد أن قامت كل هذه الأدلة التي تشير الى وجود الحب وتؤكده مازال ينكره ولا يعترف بوجوده .

وفى لفظ شهدت استعارة جميلة لأنه شبه دلالة الدمع والمرض وكأنها تشهد أى تقرر بأنه يحب ٠

وَأَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّىْ عَبْرَةٍ وَضَنًى
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ

معانى المفردات

الوجد	:	الحزن الشديد
خطى	:	تثنية خط ، أي خطين
عبرة	:	دمعة العين ، أى البكاء
الضنى	:	الضعف والهزال
البهار	:	ورد فى البادية أصفر طيب الرائحة
العنم	:	شجرة حجازية ذات ثمرة حمراء

الاجمالى

الواو فى (وأثبت) للعطف أى اضافة هذه الادلة الى ما سبق من أدلة فى الأبيات السابقة ٠

فالحزن والشوق وما تبعهما من البكاء والضعف والهزال قد رسما (بمعنى تركا أثرا ظاهرا) خطين على الخدين أحدهما أصفر كزهور البهار ، والآخر أحمر كزهرة العنم ، الأول ناشئ عن الضعف والهزال والآخر عن أثر جريان قطرات الدمع الذى كثر وكأنه اختلط بالدم ، وهما علامتين ظاهرتين لا يمكن إنكارهما ولا اخفاؤها ٠

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي
وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالْأَلَمِ

معانى المفردات

سرى	: مشى ليلا من السريان وهو السير ليلا
الطيف	: الخيال الزائر فى المنام
أرقنى	: سبب السهر لى
يعترض	: يحول بين الانسان وما يريد
اللذات	: جمع لذة ، وهو ما يتنعم به الانسان

الاجمالى

نعم حرف إيجاب لما سبق ، أى أن المحب لا يجد بدا من الاعتراف ، فكأنه يقول صدقت ، حيث لم يعد له أى سبيل للانكار بعد كل هذه الأدلة الدامغة على الحب .

فهنا يقرر أنه فعلا زاره خيال من يحبه فأدى ذلك الى فقدانه النوم ، وأن الحب فعلا يحول بين الانسان وما كان ينعم به من الراحة .

والبيت هنا فيه اجابة على التساؤلات التى سبق وطرحت فى الأبيات السابقة عن حالة المحب وسببها .

يَالَائِمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ

يا لائمى : اللائم هو العاذل ، أى يا عاذلى

الهوى العذرى :الحب الطاهر العفيف ،نسبة الى قبيلة بنى عذرة التى اشتهر رجالها بالعشق ونساؤها بفرط العفاف

معذرة : مصدر عذرته ، أى صفحت عنه ومحوت اساءته ، أو هى أعتذر معذرة أو أقدم معذرة

أنصفت : عدلت

تلم : تعذل

الاجمال

وبعد أن اعترف بالحب يعتذر بأنه شئ قهرى وليس اختيارا ، ويطلب من هذا الذى يلومه ألا يفعل ذلك ،وأن يلتمس له العذر على هذا الحب الطاهر العفيف فإنه لوكان عادلا لما فعل ذلك .

وفى لفظة الهوى العذرى هنا إشارة واضحة الى أن هذا

الحب متعلق بشخص سيدنا رسول الله ﷺ وليس موجها الى انسان يجرى له الغزل ٠

عَدَتْكَ حَالِيَ لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

معانى المفردات

عدتك حالى	: جاوزتك حالى أى أمرى وعلمها غيرك ، أو أنك لم تدرك ما أعانى ، وقد يعنى لا أراك الله ما أنا فيه
السر	: الشئ المكتوم المستور
الوشاة	: جمع واش ، وهو المفسد بين الناس
الداء	: هو ما يصيب الانسان من مرض أو غيره
منحسم	: منقطع

الاجمالى

وهنا يقرر أن هذه الحال والتى ذكرت تفصيلا فيما سبق من أبيات قد ذاعت وانتشرت فتجاوزت هذا اللائم وأصبحت مكشوفة ظاهرة لهؤلاء الذين يسعون فى نقل أخبار الآخرين فلا هى استترت ولا هى انتهت ٠

وقد يقصد بجاوزتك حالى أنك لم تصب بما أصابنى فلم تعذرنى لأنك لم تجرب ما بى ٠

وقد يكون المقصود بها الدعاء لهذا السامع بألا تصيبه هذه الحال .

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

معاني المفردات

محضتني
النصح : المحض: الخالص ، والنصح ضد الغش ، والمعنى أخلصت لي النصح
العذال : جمع عاذل وهو اللائم
الصمم : ضد السمع ، أي ضعف في قوة السمع ، وهو على درجات ، فيقال في أذنه وقر فان زاد فهو صمم فان زاد فهو طرش فاذا زاد فهو صلخ

الاجمال

انك قد أخلصت لي النصح ولكنني بالرغم من ذلك لم استمع لهذا النصح ولم استجب له فإن المحب لا يكترث (يهتم) بمن يلومونه .

والمقصود " بلست أسمعه " أنني لم استجب للنصح ولم أقبله وقوله عن العذال بمعنى عن نصحهم .

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

معاني المفردات

اتهمت : من التهمة وهي حمل أي أخذ الكلام أو الفعل على غير المقصود
نصيح الشيب : أي نصح الشيب لي ، حيث الشيب وهو اختفاء الشعر الأسود وهي حالة تصاحب عادة تقدم العمر ، واقتراب الأجل
التهم : جمع تهمة

الاجمالي

وإنني اعتبرت هذا النصح غير مخلص أو صادق مع أنه صادر عن المشيب وهو بعيد عن صفات الواشين من الحسد والطمع والغيرة والرعونة الناتجة عن عدم الخبرة .

ولفظة المشيب هنا تشير الى أن الامام رضي الله تعالى عنه اتخذ المشيب كناصح ، بمعنى موجه الى الخير .

الفصل الثانى

فى التحذير من هوى النفس

ويقع هذا الفصل فى ١٦ بيتا ... وفيه يتبوأ الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه مكان المعلم ، وهو لا يقول بأى كلام ، بل هو ذلك الانسان يفوح من إشاراته وتعبيراته عبق (طيب الريح) الايمان والصوفية .

فهو هنا يكنى (يعبر) عن النفس بلفظة " أمارتى بالسوء " لقول الله عز وجل " .. إن النفس لأمارة بالسوء" ... ولذلك يضع لامام سياسة لمعالجتها والتعامل معها .

وهو هنا يعبر عن كثرة النظر الى المحرمات بتصوير رائع وهو أن العين " قد امتلأت من المحارم " .

ثم هو أيضا يقرر أن تأدية العبادات المفروضة فقط وإن كان شيئا مقبولا مسقطا للتكليف معفيا من العقاب إلا أنه لا يعتبر الزاد الحقيقى لرحلة الحياة الآخرة التى زادها هو القيام بالعبادات التطوعية والنوافل الزائدة عن

عن هذا المفروض (ولا تزودت قبل الموت نافلة) .

وهو في كل ذلك قدوة كداعية وهذا أمر يقتضيه تصديه للدعوة التي ليست مجرد ترديد شعارات أو أقوال وإنما إتباع ذلك بممارسة فعلية .

وفي هذا الفصل أيضا كثير من الأبيات التي تقرر حقائق ثابتة والمقاطع التي تذهب مذهب الحكم والأمثال :

.... إن الطعام يقوى شهوة النهم

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

.... إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

.... من حيث لم يدر أن السم في الدسم

.... فرب مخمصة شر من التخم

خالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

.... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

أستغفر الله من قول بلا عمل ....

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به

وما استقمت فما قولي لك استقم

ولا تزودت قبل الموت نافلة ....

أمـا من ناحية المعانى التى اشتملت عليهـا أبيـات هذا الفصل فإنه يمكن تقسيمها الى مجموعات ثـلاث :

الأولـى تتضمن الكلام عن النفس والتحذير منها .

والثانيـة ترسم سياسة التعامل مع هذه النفس .

والثالثـة تتعلق بالناصح أو الداعية نفسه وكيف أنـه لا بد وأن يكون قدوة عملية يقتدى بأفعالها قبل أقوالهـا وليس مجرد مردد لكـلام لا يعمـل بـه .

وفى الأبيات الخاصة بالنفس يصفها أولا بأنها الأمارة بالسوء وأنها لم تنتصح بما جاءها من نذير يتمثل فـى الشيب الذى هو علامة ودليل كبر السن الذى لابد أنـه قد أكسب المرء خبرات تمنعه من اقتراف الخطأ ، وأيضـا هو عـلامة على اقتراب النهاية ودنو الأجل وأنها لو كانـت ذكية طيبة لفعلت (**فإن أمارتى بالسوء ما اتعظت: من جهلها بنذير الشيب والهرم**) وأنها لم تستعد بالأعمال الطيبـة لهذه الحال من الكبر والضـعـف ولا أعدت للمشيـب الذى عبر عنه بالضيف الذى غزا رأسه فى وضوح وغير تسـتر مـا يناسبه من حسن استقبال بالطاعات والعبادات والخير (**ولا أعدت من الفعل الجميل قرى: ضيف ألم برأسى غير محتشم**)

بل إن هذه النفس كثيرا ما تفعل غير ذلك بأن تزين للمـر

سوء عمله وتبديه له في صورة حسنة فيقبل عليه ويستزيد منه رغم سوئه ، وهنا تشبيه جميل لهذا الذي يقترف اللذة القاتلة بهذا الذي يتناول الدسم نهما وتلذذا وهو لا يعلم أن فيه أبلغ الضرر له حتى أن الامام ليشبهه بالسم (كم حسنت لذة للمرء قاتلة : من حيث لم يدر أن السم في الدسم) وأن من يفعل ذلك لو كان يعلم ما سوف يصير اليه حاله من عدم تمشي أفعاله مع الالتزام بما يتناسب مع وقار واحترام هذا السن المتقدم والشيب الظاهر لأخفاه بما يصبغ به (لو كنت أعلم أني ما أوقره : كتمت سرا بدا لي منه بالكتم) .

والامام البوصيري رضي الله تعالى عنه وإن كان يضرب مثلا بنفسه فهو بالقطع لا يصور حالة كان عليها في هذه السن ، فمن المعروف تماما أنه كان قد تصوف قبل ذلك بزمن بعيد ، ولكنه في ذلك المثل الذي يضربه إنما يطرح قضية عامة شائعة وهي تحكم النفس وغلبتها على الانسان .

والامام هنا لا يطرح القضية ويتركها معلقة ، بل هو يرسم سياسة معالجتها في أبيات أشرنا اليها فيما سبق بأنها المجموعة الثانية من تقسيمات هذا الفصل .

فهذه النفس الأمارة بالسوء تحتاج الى من يردها

بحزم وقوة إذا ما شردت تماما كما يحدث مع الخيل إذا ما هى شردت فيشد لجامها فيجبرها الألم الذى يسببه لها على الانصياع والطاعة ... والسؤال هنا للتمنى بمعنى أنه يرجو أن يحدث هذا الرد للنفس الشاردة عموما (من لى برد جماح من غوايتها : كما يرد جماح الخيل باللجم) وذلك لأن هذه النفس إذا ما تركت على هواها فسدت واعتادت ما هو سيئ مثلها فى ذلك مثل الطفل إذا ما نحن لم ننظم له رضاعه ولم نمنعه منه فى سن معينة كبر وفيه هذه العادة غير الحسنة (والنفس كالطفل إن تهمله شب على : حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم) ولا يجب على الانسان أن يسترسل فى المعاصى ويفرط (يزيد) فى اتيانها (ارتكابها) بدعوى أن ذلك سوف يستهلك طاقاته وشهواته ويحد منها حيث يصل الى حد الاشباع الذى يصرف النفس عن هذه الشهوات فانه بذلك يكون كمن يستزيد من الطعام لاشباع نهمه مع أن كثرة الطعام تؤدى الى تقوية شهوته وزيادتها لهذا الطعام (فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها : إن الطعام يقوى شهوة النهم) ولذلك يجب إمساك زمام النفس ومنعها من طلب اللذات فإنها إذا ما تملكت منك جعلتك تأتى من الأمور ما يؤدى الى التهلكة أو على الأقل ما يلحق العار والعيب بصاحبه

(فاصرف هواها وحاذر أن توليه : إن الهوى ما تولى يصم أو يصم) ، ولذلك فانه يجب على الانسان أن يستمر فى مراعاة نفسه ومراقبتها فيما تأتى من أمور وألا يترك لها الأمور على هواها بأن تفعل ما تشاء ويحلو لها بل يجب ردها **(وراعها وهى فى الأعمال سائمة : وإن هى استحلت المرعى فلا تسم)** ، ونلاحظ أن الامام البوصيرى هنا استخدم ألفاظا مثل راعها ، سائمة ، المرعى ، وهذا نوع من الاشارة المستترة الى تشبيه النفس بالحيوان ، فمثل هذه الألفاظ تستخدم عادة عند تناول أموره ، على أن هذه المراقبة وهذا المنع يجب ألا يؤدى الى الحرمان الكامل ، فربما كان هذا شرا من الافراط أى أن التوسط فى الأمور جميعا محبوب ، طالما كان ذلك فى حدود المشروع **(واخش الدسائس من جوع ومن شبع : فرب مخمصة شر من التخم)** ، أى أن هذا المنع والمراقبة والحرمان يجب أن يخضع للعقل والأخلاق وليس نتيجة لتوجيهات من النفس ونصيحتها ، فهذه النصيحة وأيضا نصيحة الشيطان اللعين يجب أن تكون موضع شك وريبة حتى وإن كانت مخلصة لأن النفس والشيطان لا يجب إطاعتهما **(وخالف النفس والشيطان واعصهما : وإن هما محضاك النصح فاتهم)** ، كما لا يجب أن نقبل حكمهما سواء كان لنا

أو علينا فإن كلا من هذا الاتجاه أو ذاك قد يكون وراءه الخديعة والمكر (**ولا تطع منهما خصما ولا حكما : فأنت تعرف كيد الخصم والحكم**) ، وفوق كل ما تقدم من سياسة للنفس بالحزم فإن الانسان يجب أن يندم على ما تقدم منه من ذنوب حتى وإن كانت مجرد النظر الى ما حرم الله تعالى وهنا تشبيه بلاغى جميل لهذه العين بأنها قد امتلأت من المحرمات ، ويكون ذلك بكثرة إدرار الدموع ، وهنا أيضا استدراك جميل ذكى ، فليس البكاء ندما على ما فات هو كل شيء ، وإلا فان الأمر يعطى انطباعا بمعاودة ذلك الخطأ بل يجب على الانسان الاحتماء بهذا الندم المستمر من معاودة مقارفة (ارتكاب) الخطايا ، وذلك مستفاد من استخدام فعل الأمر (الزم) أى اتبع بشدة (**واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت : من المحارم والزم حمية الندم**) .

وبعد هذه السياسة للنفس التى يرسمها الامام رضى الله تعالى عنه نجده فيما يلى من أبيات هذا الفصل يوضح أن المسألة ليست مجرد توجيه للنصائح ، بل إن المسألة فى حقيقتها يجب أن تكون أسلوب حياة وممارسة .

وهذا ما أشرنا اليه فى بداية الكلام عن هذا الفصل

بأنه يمثل القسم الثالث من تقسيمات أبياتـه ، وهـو أن يكون الناصح والـداعية قدوة عملية وليس مجرد مـــرد د لأقوال ، مطلق لنصائح وشعارات .

فنجد الامام يستعيذ بالله تعالى ويطلب منه تعالـى العفو من أن يقع فى خطيئة أن يكون ناصحا بالكلمات فقـط بل هو يدعو أن تكون الأقـوال مقرونة دائما بالاعمـال وإلا فالانسان بذلك يكون كمن يدعى على العقيم بأن لـه نسـلا (استغفر الله من قول بلا عمل : لقد نسبت به نسلا لذى عقم) ، والامام فى ذلك يتمثل قول الحق تبارك وتعالى ... " كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ".

ثم يعود الامام لتأكيد هذا المعنى فيوجه الأنظار الـى أنه لا يجوز للانسان أن يوجه غيره الى الـخير بينمـا هـو نفسه لا يفعله ، وأنه لا يمكن لمن هو غير مستقيم أن يوجـه غيره الـى الاستقامة ، ولا لمن لا يفعل الخير أن يأمر به غيره (أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به : وما استقمت فما قولى لك استقم) .

وفى هذه الالـفاظ يعكس الامام رضى الله تعالى عنـه ما بداخله من مشاعر دينية واتباع للقرآن الكريم والسنـة المطهرة فالله عز وجل يقول :

" .. أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ...

وسيدنا المصطفى ﷺ يصور هذا الأمر تصويرا لا شك رادع أقسى القلوب ، فهو ﷺ يقول :

"يؤتى بالرجل يوم القيامة فيكب على وجهه فى النار فتندلق أقتابه (أحشاؤه) فيدور حولها دور البهيم (الحيوان) ، فيقول أهل النار : أى فلان أما كنت تأمرنا بالمعروف ، أما كنت تنهانا عن المنكر ..
فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه " صدق رسول الله ﷺ

ويختتم الامام هذا الفصل من البردة المباركة بتقرير حقيقة دينية عظيمة ... وهى أن العبادات التطوعية والنوافل هى التى تكسب الانسان رفيع الدرجات وأنها هى الزاد الحقيقى فى رحلة الدار الآخرة ، وأن القيام بالعبادات المفروضة فقط وإن كان يسقط عن الانسان عقوبة ترك الفرض ، ويدخل الجنة بفضل المولى عز وجل وكرمه الا أن الدرجات فيها لا تنال إلا بالنوافل .

وقد اتخذ البيت شكل الإخبار بأنه لم يفعل إلا كذا تمشيا مع سياق الصياغة فى الأبيات السابقة ، ولإظهار الندم الذى يلحق بفعل ذلك مما يدعو الانسان

الى عدم وقوف مثل هذا الموقف (ولا تزودت قبل الموت نافلة : ولم أصل سوى فرض ولم أصم) .

....

والآن الى تفاصيل هذا الفصل

....

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

معاني المفردات

السوء : هو القبيح من الفعل والقول
أمارتي بالسوء : أي نفسي
اتعظت : بمعنى انتصحت ، من وعظ أي أمر بالطاعة
جهلها : سفهها
نذير : أصلها في اللغة المبلغ وهي لا تستعمل الا في التخويف فهي بمعنى الإنذار أو المنذر بانتهاء الأجل
الهرم : كبر السن

الاجمال

يعتبر هذا البيت ملحقا بالبيت السابق الذى اعتبر فيه المشيب غير مخلص فى نصحه بالرغم من بعده عن ذلك .

فهو يقول أن نفسه التى ما زالت تدفعه الى القبيح من الأعمال لم تستجب للنذير الذى جاءها ، وهو المشيب وكبر السن المنذر بالنهاية ، وذلك لسفهها .

وفى البيت سياق . وتناسق جميل بين لفظى أمارتى بالسوء وما اتعظت ... فانها لو كانت قد اتعظت وسلكت سبيل الرشاد والخير لما كان هناك حاجة الى وصفها بأنها أمارة بالسوء .

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى
ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

معانى المفردات

أعدت	:	ادخرت
قرى الضيف	:	بكسر القاف ، من قريت الضيف أى أحسنت اليه وأكرمته
ألـمّ	:	بتشديد الميم ، نزل ، حل
محتشم	:	خجول مستح ، مستتر

الاجمالى

وأن هذه النفس لم تدخر لهذا الضيف الذى نزل بالرأس وهو المشيب ، فى غير خجل ولا استحياء ولا تستر ، لم تدخر ولم تعد له ما تكرمه به من الفعل الجميل ، وحسن العبادة وهو ما يكسب المرء الهيبة والوقار فى هذا السن المتقدم .

لَوْ كُنْتُ أعْلَمُ أَنِّى مَا أُوَقِّرُهُ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِى مِنْهُ بِالْكَتَمِ

معانى المفردات

أوقره : أحترمه وأعظمه

الكتم : بفتح الكاف والتاء ، نبات يؤخذ منه خضاب (صبغة) للشعر

الاجمالى

ولو أننى علمت أننى لن أستطيع احترام هذا المشيب لكنت قد أخفيته بصباغته بهذا النوع من النبات الذى يلون الشعر .

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

معاني المفردات

من لي	: أي من يتكفل لي
الجماح	: الشرود ، من جمح الفرس ، أي غلب فارسه ولم يخضع له لقوة الفرس ، وجمح الرجل إذا ركب هواه وغلبته نفسه
غوايتها	: بفتح الغين ، ضلالتها
اللجم	: جمع لجام ، وهو ما يجعل في فم الفرس ليسهل قيادته والسيطرة عليه

الإجمالي

والسؤال هنا ليس سؤالا حقيقيا بمعنى أن الامام رضي الله تعالى عنه يبحث عن يرد جماح نفسه ، ولكنه سؤال يوضح أن الطريقة المثلى لمعاملة النفس هي ردها بشدة وحزم إذا ما شردت كما يفعل مع الخيل من معاملتها بالشدة .

فَلَا تَرُمْ بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

معاني المفردات

لا تـرم	: لا تطلب ، لا تقصد ، لا ترج
النهم	: الحريص على الأكل والشرب في شراهة وكثرة

الاجمالي

لا تحاول أن تكسر شهوة النفس بالمزيد من إتيان المعصية على زعم وبافتراض أن هذا يؤدى الى حدوث نوع من الاشباع بهذه الزيادة ، فإن ذلك يؤدى الى عكس المطلوب تماما كما يحدث بالنسبة للطعام فإن كثرته والمزيد منه لا يؤدى الى الاكتفاء والشبع بل الى المزيد من الشراهة وحب الأكل .

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

معاني المفردات

النفس	: الروح ، قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا ، وبعد تعلقها به تسمى نفسا

الاهمال : الترك ، عدم العناية
شب : كـــبر
ينفطم : ينفصل عن أمه ، أى يكف عـــن الرضـــاع

الاجمالى

والنفس البشرية مثلها مثل الطفل ويجب مراعاتها وأخذها مأخذ التعليم والتربية مثله ، فإنه إذا أهملناه ولم ننظم لــه رضاعته كبر على حبها واستمر فيها ، وفى ذلك من العيب مــا فيه ، ولكنه إذا منع مــن الرضاع فإنه ينفطم ويمتنع عنــه دون ما ضرر ، وكذلك يجب أن تكون معاملة النفس .

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

معانى المفردات

اصرف هواها : إمسك زمامها وامنعها مـــن طلب اللذات المحرمة
التولية : الولاية والامارة
حاذر أن توليـــه : إحذر تحكمه ، أى لا تجعـــل الهوى أميرا عليك ، آمرا لك
الهوى : الميل ، قيل الهوى لأنـــه

يهوى بصاحبه الى النار

يصم	: بضم الياء وسكون الصاد ،حالة الجزم من يصمى ، مضارع أصمى أى قتل
يصم	: بفتح الياء وكسر الصاد مضارع وصم ، أى شان وعاب ، أى يلحق بك العار والعيب
تولى	: تأمر وحكم

الاجمالى

وهنا يستمر الامام فى معالجة أمور النفس البشرية فيقول أنه يجب أن نمسك زمام هذه النفس ، وأن نمنعها من طلب المزيد من اللذات والشهوات .

ويوجه الامام قوله للجميع فيقول حاذر واحذر أن تجعل هواها أمرا لك متحكما فيك ، فإن هوى النفس إذا ما أصبح فى موقع القيادة والتصرف منك فإنه سوف يؤدى بك الى التهلكة ، أو على الأقل فإنه يلحق بك العيب والعار .

وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ

معانى المفردات

راعها	: لاحظها
سائمة	: من السوم ، وهو الرعى فى

الكلأ (العشب) المباح ،
أى وهى متعاطية للشئ

تسم : بضم التاء وكسر السين ، لا تتركها ترعى على هواها ،أى لا تمكنها من الاستمرار ، أى لا تتبع هواها

الاجمالى

وهذا البيت أيضا ملحق لما قبله فبعد ما تقدم عليك بمراقبة النفس وهى تتداول الأمور فإن هى استطابت ما تفعل فلا تتركها فى الاستمرار على حريتها فإنك إن فعلت ذلك فإنها تتمرد عليك ولا تعود للانقياد لك بعد ذلك .

وهو هنا يشبه النفس فى تناولها للأمور بالحيوان وهو يرعى فكلاهما لا يعرف له حدودا يقف عندها ، ويجب أن نقوم نحن بتنظيم ذلك .

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِى الدَّسَمِ

معانى المفردات

كم : بمعنى كثيرا
حسنت : صورت القبيح لك فى صورة حسنة
الدسم : الدهن ،وكل ما يشتهيه الانسان

الاجمالي

وهذا البيت ملحق معنا بالسابق فهذه النفس فى تناولها للأمور كثيرا ما صورت للانسان ما هو قبيح على أنه حسن وفى ذلك ما فيه من ضرر ، ومثل ذلك كمن يتناول الدسم والدهون وهو مستحسن لها متلذذ بمذاقها وهو لا يعلم أن فيها ما يضره أو حتى يقضى عليه .

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

معانى المفردات

الدسائس	:	جمع دسيسة وهى الفتنة الخفية من الدساسة وهى الكيد والمكر
المخمصة	:	شدة الجوع
التخم	:	جمع تخمة ، وهى امتلاء البطن بالأكل وثقله عليها مما يؤدى الى فساد المعدة

الاجمالي

وعلى الانسان أن يحذر الفتن الخفية من الجوع والشبع فكلاهما يشغل النفس فيصرفها عن العبادة والعمل الصالح ويؤذى الجسم ، وربما كان الجوع أو الحرمان أسوأ من

الإفراط في الشبع .

فالجوع قد يؤدي الى سوء الخلق وحدة الطبع وأن تسود الانسان حالة من العصبية وضعف الجسم والذبول وعدم القوة وهذه أمور قد تؤدي الى التقصير في العبادات والتأثير في علاقة المرء بالناس .

وكذلك الشبع فإنه مدعاة للكسل وقلة الحماس للافعال وهي أيضا أمور مؤثرة في العبادة والعلاقة بالناس .

ولكن الشبع أهون وأقل ضررا وخطورة من الجوع الذي قد يؤدي الى الوهن وربما المرض .

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلَأَتْ
مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

معاني المفردات

استفرغ الدمع	:	السين والتاء زائدتان ، أي أفرغ ، من التفريغ والتخلية أي اسكب ما في عينيك
امتلأت من المحارم	:	أكثرت من النظر الى المحرمات وهي الأشياء التي حرمها الشرع
الزم	:	من لزم ، أي ثبت ودام ، أي استمر على الشيء
الحمية	:	المنع مما يضر ولو بالشدة
الندم	:	الأسف على ما كان

الاجمالي

واستزد من البكاء من العين التي أكثرت من النظر الى ما هو محرم عليك تلذذا به حتى وكأنها قد امتلأت من هذه المحرمات فكأنك بهذا البكاء تفرغها مما ملئت به وتكفر عما فعلت ، وأيضا تحتمى بهذه الدموع المستمرة عن معاودة ذلك.

كما أن الاحتماء بكثرة الندم والأسف على ما كان والاصرار على التوبة هو العاصم من الوقوع في المحرم من جديد .

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

معانى المفردات

خالف	: لا تطع ، وتستخدم في الأمور المكروهة
الشيطان	: من شطن ، أي بعد ، فمعناه المبعد ، أو هي من شاط أي هلك ، فهو المهلك أو الهالك
اعص	: لا تطع ، وتستخدم في الامور المحرمة
محضاك النصح	: أظهرا لك النصيحة الخالصة أي أخلصا لك النصح
فاتهم	: لا تثق فيهما وقابل كلامهما بسوء الظن ، أي تشكك في صدق مقصدهما

الاجمالى

وعليك ألا تطيع النفس والشيطان إن هما أمرا بفعل شيء أو الامتناع عن فعل شيء ، ولا تطعهما وإن هما صدقا فى نصحهما ، فانك يجب ألا تثق بهما ، ويجب التفكير فى هذه النصيحة والتدبر فيها جيدا .

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

معانى المفردات

الخصم	:	المنازع لك
الحكم	:	المحكم فى الامر ، أى من سيحكم فيه
كيد	:	مكر وخديعة

الاجمالى

وهذا البيت استكمال للمعنى فى البيت السابق فى النصح بما يتبع نحو النفس والشيطان ، فيجب على المرء ألا يطيع أحدهما ، سواء كان حكمه فى صالحه أو ضده ، فإن لكل منهما عيوبه التى قد تستتر وراء ذلك ، فللخصم مكره وخديعته وللحاكم احتمالات الظلم وسوء التوجيه .

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِى عُقُمِ

معانى المفردات

استغفر الله : أطلب منه العفو
نسبت : عزوت ، الحقت
النسل : الولد
ذى عقم : عقيم لا ينجب ،ولا ولد له

الاجمالى

استعيذ بالله وأطلب منه تعالى العفو والغفران من أن أقول شيئا لا أنفذه ، ومن قول غير مصحوب بعمل ، فإننى بذلك أكون كمن نسب ولدا لانسان لا ينجب .

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَـكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِى لَكَ اسْتَقِمِ

معانى المفردات

الخير : ما له عاقبة محمودة من فعل أو قول
ما ائتمرت به : لم اعمل الخير الذى آمرك به

استقمت : فعلت الخير وانتهيت عن الشر

الاجمال

وهذا البيت ملحق لما قبله فهو يضرب مثلا لهذه الأقوال التى بلا عمل ، كمثل هذا الذى يأمر بالخير ولا يفعله ، وهذا الذى هو غارق فى الاخطاء وينصح غيره بتركها ، وكان الأولى بهذا وذاك أن يفعل الخير وأن يتبع فاضل الأخلاق أولا قبل أن يدعو غيره الى ذلك .

وفى لفظ (فما) استفهام انكارى ، بمعنى نفى أى فائدة أو استجابة من مثل هذا الموقف ، وفى هذا توجيه لكل من يتصدى للنصح والدعوة بأن يكون قدوة أولا وإلا فإنه لا فائدة .

وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

معانى المفردات

ولا تزودت : لم أتخذ زادا ، ولم استعد بالطاعات النافعة للآخرة

نافلة : الزيادة عن الواجبات المفروضة بالعمل الصالح ، على سبيل التطوع

الاجمالي

وفي هذا البيت نصيح مستتر ، فهو يقول أنه لا يكفيه أن يقوم بالأعمال والعبادات المفروضة فقط من صلاة وصوم بل يجب عليه التزود بالعبادات التطوعية والأعمال الصالحة التي هي الزاد الحقيقي للدار الآخرة ، فالعبادات الواجبة لا تكفي إلا لاسقاط التكليف الموجب تركه للعقوبة ، أما النوافل فهي التي تكسب الدرجات في الجنة .

كما أن النافلة يجبر بها ما نقص من الفرائض ، أى أنها تعوض ما فات منها ، وذلك على ما هو متواتر ، وإن كان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قد قال بأنها تعوض ما نقص من هذه الفرائض سهوا ، أما ما نقص عمدا فإنها لا تجبره .

الفصل الثالث

فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

ويقع هذا الفصل فى ٣٠ بيتا ، وهو مخصص لمدح سيدنا رسول الله ﷺ ، وفيه يستمر الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه فيما بدأه فى آخر الفصل الثانى من نصح للنفس والدعوة الى التزود بالعبادات التطوعية (النوافل) فإن من لا يفعل ذلك فانه يكون قد هجر سنة المصطفى ﷺ ، ولكن الامام يعبر عن ذلك تعبيرا قويا فهو يقول أن من يفعل ذلك فإنه يكون قد ظلم سنة النبى (**ظلمت سنة من أحيا الظلام**) ، وبعد ذلك يبدأ الامام فى مدح النبى ﷺ .

وفى سياق أبيات هذا الفصل ينبه الامام الى أنه لن يفعل وكذلك نحن معشر المسلمين لن نفعل ما فعله النصارى عندما قالوا عن نبيهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أنه ابن الله وإن كان ذلك لن يقف حائلا دون أن نمدحه ﷺ كما نشاء (**دع ما ادعته النصارى فى نبيهم : واحكم بما شئت مدحا**

فيه واحتكم) ، وأن تنسب الى ذاته الشريفة ومقامه ومكانته العالية ﷺ كل الشرف والتعظيم (وانسب الى ذاته ما شئت من شرف : وانسب الى قدره ما شئت من عظم) ، فإن فيه ﷺ من الصفات العظيمة ما ليس له حد حتى أن الانسان ليعجز عن التعبير عنها بأى كلمات (فإن فضل رسول الله ليس له : حد فيعرب عنه ناطق بفم) ، وليت علاماته وما يقال عنه ﷺ قد جاء مناسبا لما له ﷺ من مكانة عظيمة وقدر عال وإلا كان اسمه ﷺ يحيى الموتى حين تنادى به أو حين يذكر عليها (لو ناسبت قدره آياته عظما : أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم) وإن كان الجميع قد عجزوا عن فهم ذاته الشريفة ﷺ وعاد كل من اقترب منه أو بعد عنه ﷺ فى محاولة فهمه ﷺ وقد غلبته الحجة (أعيا الورى فهم معناه فليس يرى . للقرب والبعد فيه غير منفحم)

ومثله ﷺ فى ذلك مثل الشمس التى تظهر صغيرة إذا ما نظر إليها من بعد ولكن العين تتعب من النظر اليها عن قرب (كالشمس تظهر للعين من بعد : صغيرة وتكل الطرف من أمم) وكيف يمكن لهؤلاء الناس التوصل الى حقيقته ﷺ وهم قوم قد شغلوا أنفسهم عن ذلك بالأحلام والأمانى وكأنهم نيام يحلمون (وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته : قوم نيام تسلوا عنه بالحلم) ، فكل ما توصلوا اليه من علم عن ذاته الشريفة ﷺ

أنه ﷺ بشر وأنه ﷺ خير من خلق الله تعالى
(فمبلغ العلم فيه أنه بشر : وأنه خير خلق الله كلهم) .

ثم يخلص الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه من ذلك الى المديح المباشر لسيدنا رسول الله ﷺ .. فصاغ الكثير والكثير من درر المديح .

١ — فهو ﷺ سيد الخلق أجمعين ... سيد أهل السماوات وأهل الأرض (الكونين) وسيد الإنس أى بنى الإنسان والجن (الثقلين) وسيد العرب وغير العرب
(محمد سيد الكونين والثقلين : والفريقين من عرب ومن عجم)

٢ — يحوطه ﷺ الحسن وتعلوا وجهه الكريم ﷺ طلاقة وبها ، وجملته ﷺ أخلاق كريمة ﷺ
(أكرم بخلق نبى زانه خلق : بالحسن مشتمل بالبشر متسم)

٣ — وهو ﷺ قد اختص بالحسن والجيد من كل شيء ، فهو ﷺ كالورد فى الرقة (كالزهر فى ترف) وكالبدر فى علو المكانة (والبدر فى شرف) وكالبحر فى الجود والعطاء (والبحر فى كرم) والدهر فيما يقدم من أمور عظيمة (والدهر فى همم) .

(كالزهر فى ترف والبدر فى شرف : والبحر فى كرم والدهر فى همم) .

٤ - وكلامه وابتسامته ﷺ كأنها اللؤلؤ ... وهنا لفتة لغوية عظيمة ، بأن عكس الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه التشبيه لتقوية المعنى ، وذلك بأن شبه اللؤلؤ بكلامه وابتسامته ﷺ (كأنما اللؤلؤ المكنون فى صدف : من معدنى منطق منه ومبتسم) .

٥ - وهو ﷺ الذى تحوطه الهيبة والعظمة التى تنبع من ذاته الشريفة ﷺ حتى ليخيل إليك أنه ﷺ يمشى فى خدم وحشم وجند كثير وذلك بالرغم من أنه ﷺ فرد يمشى منفردا (كأنه وهو فرد من جلالته : فى عسكر حين تلقاه وفى حشم) .

٦ - وليس له ﷺ شريك فى صفاته الشريفة التى كملت وتكاملت (منزه عن شريك فى محاسنه : فجوهر الحسن فيه غير منقسم) .

٧ - فإن صفاته الشريفة ﷺ قد كملت معنى فى أخلاقه الكريمة ﷺ مع تمام وحسن صفات جسمانية ، وهو ﷺ الذى اختاره المولى جل وعلا حبيبا له (فهو الذى تم معناه وصورته : ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم) .

٨ - وهو ﷺ بذلك طريقا لنجاة لنا برسالته التى حملها من الله تعالى وهى دعوة الاسلام المباركة (دعا الى الله فالمستمسكون به : مستمسكون بحبل غير منفصم) .

٩ - وهو ﷺ الرحيم بنا ، الكريم معنا ، فإنه ﷺ لم يختبرنا بما لا نستطيع ادراكه رحمة بنا ورأفة وحفاظا على عقولنا (لم يمتحنا بما تعيى العقول به : حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم) .

١٠ - وهو ﷺ الآمر بالخير والناهى عن المنكر ، وهو ﷺ فى أمره ونهيه أصدق الجميع وأخلصهم ﷺ (نبينا الآمر الناهى فلا أحد : أبر فى قول لا منه ولا نعم)

١١ - وهو ﷺ موضع كل الحب، المرجو للشفاعة فى كل الأمور ، والذى يتصدى لكل الأمور العظيمة الجسيمة (هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال ملتحم)

١٢ - وهو ﷺ الذى الذى يحمل الدعوة كلمة ومعنى قولا وعملا ... فهو ﷺ رغم كل ما ينعم به من خير وقبول من الله تعالى يقوم الليل حتى تتورم قدماه الشريفتان (ظلمت سنة من أحيى الظلام الى : أن اشتكت قدماه الضر من ورم) .

١٣ - وهو ﷺ الزاهد فى متاع الدنيا كله حتى فى أبسط الأمور مثل الطعام ، حتى أنه ﷺ شد على وسطه الكريم ﷺ حجرا تخفيفا من الام الجوع ، بالرغم من أنه ﷺ كان قبل ذلك فى نعمة وبحبوحة من العيش (وشد

من سغب أحشاءه وطوى : تحت الحجارة كشحا مترف الأدم)

١٤ - وليس هذا عن فقر وعجز وعوز (احتياج) بل عن زهد حقيقى وانصراف عن نعم الدنيا الى الانشغال بالاعداد للآخرة ، وليس أدل على ذلك من أنه ﷺ كانت تعرض عليه أكثر نعم الدنيا اغراء فيعرض عنها (وراودته الجبال الشم من ذهب : عن نفسه فأراها أيما شمم) .

١٥ - وهو ﷺ فى ترفعه وإبائه هذا قد استغنى بكرم الله تعالى وفضله وأصبح غير راغب فى متاع الدنيا ، وهذا هو سبب زهده ﷺ وليس السبب أنه ﷺ على غنى دنيوى وثراء ... ولكن الاحتياج الى متاع الدنيا لا يمكن أن يتغلب على عصمة الله تعالى له ﷺ وحفظه إياه ﷺ (وأكدت زهده فيها ضرورته : إن الضرورة لا تعدو على العصم) .

والشطر الثانى من هذا البيت .. إن الضرورة لا تعدو عن العصم .. يذهب مذهب الحكم والأمثال .

١٦ - كما أنه مهما كانت ضروراته واحتياجه ﷺ فإن ذلك لا يمكن أن يجعله ﷺ يركن الى متاع الدنيا ويطلبه ، وهو ﷺ الذى خلقت الدنيا من أجله (وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من : لولاه لم تخرج الدنيا من العدم) .

١٧ - واذا ما كان كل هذا الفضل والخير والنبل وغير ذلك من الصفات التى لا يمكن أن تدخل تحت حصر ، ولا يمكن

لأحد أن يعبر عنها بكلمات توفى مولانا رسول الله ﷺ حقه فى مجرد الوصف فضلا عن المديح قد ضمها قبر تنفيذا لقوله تعالى " .. إنك ميت وإنهم ميتون .. " إذا كانت هذه الصفات النبوية الكريمة قد ضمها قبر ، فإنه لا يوجد عطر يساوى ويماثل مثل هذا التراب الذى ضمه ﷺ ، والخير والسعادة لمن فاز بأن يشم هذا التراب أو يقبله (لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه : طوبى لمنتشق منه وملتثم)

والحقيقة التى تتأكد من استعراض ما تقدم من أبيات فى سيدنا المصطفى ﷺ هى أن الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه قد أجاد رسم صورة سيدنا محمد ﷺ وبيان صفاته ﷺ وأبدع حتى أنه ليحيرك من أين تبدأ وأين تنتهى .

وفى سياق هذا الفصل من البردة المباركة يعقد الامام البوصيرى مقارنة بين سيدنا محمد ﷺ وباقى الأنبياء سلام الله تعالى عليهم أجمعين فيقول :

١ - إن سيدنا رسول الله ﷺ قد تفوق عليهم فى الخلق الكريم ، وتمام التكوين الجسمانى وجماله ، وأيضا فى العلم والكرم (فاق النبيين فى خلق وفى خلق : ولم يدانوه فى علم ولا كرم) .

٢ - وأن هؤلاء الرسل سلام الله تعالى عليهم بالنسبة

لسيدنا محمد ﷺ هم بمثابة النقط أو التشكيل الذى يوضع على الحروف الهجائية لتوضيحها وتسهيل قراءتها **(وواقفون لديه عند حدهم : من نقطة العلم أو من شكلة الحكم) .**

٣ - وأن هؤلاء الرسل جميعا سلام الله تعالى عليهم قد أخذوا عن نبينا محمد ﷺ وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم فيما أخذه كل منهم ، فهناك الذى أخذ الكثير وكأنه يشرب من البحر (غرفا من البحر) ، وهناك الذى أخذ القليل وكأنه يمتص بشفتيه من ماء المطر (رشفا من الديم) أى أن الجميع سلام الله تعالى عليهم قد أخذوا عنه ﷺ بقدر أو آخر **(وكلهم من رسول الله ملتمس : غرفا من البحر أو رشفا من الديم) .**

٤ - وأن كل معجزة أظهرها هؤلاء الرسل سلام الله تعالى عليهم ، وكل رسالة سماوية حملوها مصدرها رسول الله سيدنا محمد ﷺ .. وقد عبر الامام رضى الله تعالى عنه هنا تعبيرا عظيما بعبارة " اتصلت من نوره بهم " . فهذه الرسالات السماوية كالنور متصلة أواصرها بين سيدنا محمد ﷺ وبينهم سلام الله تعالى عليهم **(وكل آى أتى الرسل الكرام بها : فإنما اتصلت من نوره بهم) .**

٥ - فالنبى محمد ﷺ بالنسبة لهم كالشمس وهم سلام الله تعالى عليهم كالكواكب التى تدور فى فلك هذه الشمس

تعكس ما تشعه من أنوار الهداية على ظلمات الجهالة والكفر (**فإنه فضل شمس هم كواكبها : يظهرن أنوارها للناس فى الظلم**) .

وفى الأبيات المتقدمة تشبيهات عظيمة للرسالات السماوية بالنور والهداية ، وأيضا إشارة واضحة وتعبير عظيم عن وحدة هذه الرسالات السماوية ، وامتداد أصلها الى الأخذ عن الاسلام والتمهيد له .

. . . .

ونستعرض فيما يلى تفاصيل هذا الفصل

. . . .

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

معانى المفردات

ظلم	:	جار فى الشئ ووضعه فى غير موضعه ، أى تركت العمل بها
السنة	:	فى أصل اللغة هى الطريق أو السيرة ، ودينا هى ما اتبعناه من قول وفعل تأسيا

بسيدنا رسول الله ﷺ دون أن يكون مفروضا من المولى عز وجل

ظلمت سنة : تركت العمل بها وأهملتها

أحيا الظلام : أنار الليل بالصلاة ، قام في الليل على قدميه عابدا ربه

اشتكت : أظهرت الشكاية ، كناية عن شدة الألم

القدم : طرف الرجل مما يلي الأصابع

الضر : الألم والهزال

الورم : الانتفاخ

الاجمالي

في هذا البيت يوضح ما جاء في البيت السابق الذي يشير فيه الى ضرورة التمسك بالقيام بالنوافل وإلا فإن في ذلك ظلم ظلم للسنة النبوية الشريفة بترك العمل بها .

وهو هنا يدخل مباشرة في مدح سيدنا رسول الله ﷺ بما جاء في سلوكه ﷺ أولا وتمسكه ﷺ بأداء النوافل مع كونه ﷺ ليس في احتياج لذلك دنيويا ولا في الآخرة ، ولكنه الشكر كما قال ﷺ ... " أفلا أكون عبدا شكورا" أما التزامنا نحن فهو احتياج وضرورة .

وها هو رسول الله ﷺ وقد قام الليل على قدميه عابدا ربه تعالى حتى أصابهما الانتفاخ والتورم غير عابئ ﷺ بما فيهما من ألم .

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ

معانى المفردات

الشد	: العصب والربط
السغب	: شدة الجوع
الاحشاء	: جمع حشا ، وهو ما فى داخل الضلوع
الطى	: الثنى واللف
الكشح	: هو ما بين السرة الى وسط الظهر (من الخاصرة الى الضلع الخلفى)
مترف	: منعم ، رقيق
الادم	: جمع ادمة وهى باطن الجلد ، أما ظاهره فهو البشرة

الاجمالى

وأيضا شد على وسطه الكريم ﷺ حجرا وطوى خصره الناعم الشريف تحت الحجارة تخفيفا من آلام الجوع .

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِــهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

معانى المفردات

راودته : دعته إليها ، عرضت نفسها عليه
الشم : جمع أشم ، وهو العالى الشامخ
أراها أيما شمم : أظهر لها أعلى ترفع ، وأشد اعراض واستغناء وإباء

الإجمالى

وهو ﷺ لم يشد الحجر على بطنه من شدة الجوع لأنه ﷺ فقير لا يجد ما يقتات به ، بل فعل ذلك عن زهد حقيقى وعدم رغبة فى عرض الدنيا ، وأكبر دليل على ذلك أن الجبال العالية عرضت نفسها أن تكون ذهبا خالصا له ﷺ ولكنه ﷺ ترفع عنها واستغنى فى إباء وإعراض .

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ
إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ

معانى المفردات

أكدت	:	قوت
زهد	:	ترك الشئ لعدم الرغبة فيه
ضرورته	:	حاجته
تعدو	:	تتغلب
العصم	:	بكسر العين وفتح الصاد جمع عصمة وهى المنع والحفظ

الاجمال

إن الضرورة التى تبيح كل محظور لا تمنع الزاهد العابد أن يعيش معصوما من الأخطاء ، فمهما بلغ احتياجه فإنه لن يفعل ما يغضب الله عز وجل ، فما بالنا بسيد الخلق وصفوة الانبياء ﷺ .

أى أن الضرورة والحاجة لا سبيل لهما الى إفساد من عصمه الله تعالى ، ومن هنا كان ترفع سيدنا رسول الله ﷺ عن أن تكون الجبال ذهبا خالصا له ﷺ زهدا حقيقيا لانه ﷺ لم يكن من ذوى اليسار (أى لم يكن غنيا) .

فالغنى حين يرفض العطاء فإن ذلك يكون من موقع عدم الحاجة أما من كان غير ذلك فرفضه الشئ هو ترفع وزهد .

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ
لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ

معانى المفردات

الدعاء : الطلب
الدنيا : بمعنى متاع الدنيا

الاجمال

وفى هذا البيت اتمام لمعنى البيت السابق فيتساءل الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه بمعنى الاستنكار والنفى ويقرر أن الحاجة لا يمكن أن تدعو مولانا رسول الله ﷺ الى قبول حطام الدنيا وهو ﷺ الذى خلقت الدنيا من أجله ﷺ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ
ـنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

معانى المفردات

سيد الكونين : سيد الدنيا والآخرة ﷺ
الثقلين : الانس والجن، سميا ثقلين لاثقالهما الارض أو لثقلهما بالذنوب

عجم : جمع أعجمي ، وهو من ليس عربي

الاجمالي

فسيدنا محمد ﷺ سيد الدنيا والآخرة والانس والجن وكل الناس من عرب وغير عرب .

نَبِيُّنَا الْآمِرُ النَّاهِى فَلَا أَحَدٌ
أَبَرَّ فِى قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ

معانى المفردات

نبى : بلا همزة من النبوة وهى الارتفاع (عند الله والناس) وبالهمزة من النبأ وهو الخبر (المخبر عن الله)

الأمر : طلب الفعل

النهى : طلب الامتناع عن الفعل

الآمر الناهى : الداعى الى الخير ، الناهى عن الشر

أبر : أصدق وأوفى

الاجمالي

وهو ﷺ الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ، وليس

هناك من هو أصدق منه ﷺ ولا أوفى سواء فى رفضه الشئ أو قبوله ، فى أمره ﷺ بفعل شئ أو الامتناع عنه .

هُوَ الحَبِيبُ الَّذِى تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ

معانى المفردات

الرجاء	:	الأمل
الشفاعة	:	أن تسأل العون لغيرك حتى يخلص من أهواله
الهول	:	الأمر الذى يخشاه الانسان
مقتحم	:	بفتح الحاء ، مهجوم عليه ومتورط فيه ، الأمر الذى يقع فيه الناس بغتة ولا يدرون كيف الخلاص منه

الاجمالى

وهو ﷺ المحبوب الذى يؤمل أن يتكرم بالشفاعة فى كل ما هو عظيم من الأمور ، وكل ما يشرع (يبهم) فيه الانسان من الاقدام على الصعاب ، وكل ما يعرض (يقابل) للانسان من أمور صعبة مفاجئة .

دَعَا إِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

معاني المفردات

منفصم : منقطع

الاجمالي

المراد بالحبل هنا هو دين الاسلام لأنه يصلنا بالله تعالى ويعصمنا من الزلل .

فهذا سيدنا رسول الله ﷺ دعا الى الاسلام وهو دين الله تعالى ، فالذين دخلوا في دعوته ﷺ ينالون العطاء والمنح والخيرات دائما ما داموا حافظين لدينهم مقيمين على عبادتهم .

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ

معاني المفردات

فاق : علا عليهم

الخلق : بفتح الخاء وسكون اللام ، الصورة والشكل

الخلق : بضم الخاء واللام ، السجية والطبيعة ، الصفات والخصال الكريمة

لم يدانوه : لم يقاربوه أو يصلوا الى منزلته

الاجمالي

إن سيدنا محمد ﷺ قد علا على جميع الانبياء سلام الله تعالى عليهم أجمعين وزاد ﷺ عنهم فى حسن الصورة وكمال الشكل ، وأيضا فى السجية والصفات الكريمة ولم يقاربوه ﷺ أو يصلوا الى منزلته ﷺ فى العلم أو الجود

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ
غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

معاني المفردات

ملتمس : آخذ

غرفا : مصدر غرفت بيدى من البحر

الرشف : مص السائل بالشفتين

الديم : بكسر الدال وفتح الياء ، جمع ديمة وهى المطر الذى يدوم (قيل يوما وليلة) فى سكون بلا رعد ولا برق

الاجمالي

إن ما جاء به الأنبياء السابقون سلام الله عليهم من الهدى إذا ما قيس الى هدى سيدنا رسول الله ﷺ كان كغرفة من بحر أو مصة من مطر غزير وعلمهم الى علمه ﷺ كقطرة من بحر .

وهؤلاء الرسل جميعا آخذون مما جاء به ﷺ ويختلف عطاؤهم بين آخذ القليل كمن يشرب مصا بشفتيه ، وآخذ الكثير كمن يغترف بيديه من ماء البحر .

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ

معاني المفردات

لديه	:	عنده ، أو بالنسبة له ﷺ
نقطة العلم	:	تشبيه بوضع النقط على الحروف
شكلة الحكم	:	واحدة الشكل ، مأخوذ من شكلت الكتاب إذا قيدته بحركة الاعراب ، كما يقال شكلت الدابة إذا قيدتها بالشكال
الحكم	:	بكسر الحاء وفتح الكاف ، جمع حكمة ، مأخوذ من حكمة اللجام التي تمنع الفرس أن يجمح .

ومنها الحكيم أى العالم ،
لأن علمه يحكمه ويمنعه من أن
يخطئ

الاجمالى

إن موقع الرسل عليهم السلام بالنسبة الى سيدنا رسول الله ﷺ لا يتعدى حدودا معينة مثلهم فى ذلك مثل النقط التى نضعها على حروف الكتابة لنتفهمها ، أو هم كهذا التشكيل أو الشكل وهى العلامات التى توضع على الحروف لتبين حركتها وتسهل فهمها وإعرابها ، ولا نخطئ فيها بعد أن أحكمت (ضبطت) حركتها .

وهذا البيت أيضا متمم لما قبله من بيان أنه ﷺ قد علا على جميع النبيين وسبب ذلك .

فَهْوَ الَّذِى تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

معانى المفردات

تم : كمل
النسم : الارواح ، جمع نسمة وهى الروح
بارئ النسم : خالق الانسان وهو المولى عز وجل

الاجمالي

سيدنا محمد ﷺ قد كمل معنى أو معنويا وخلقيا وأيضا فى التكوين الجسدى ، أى كمل باطنه ﷺ فى الكمالات وظاهره ﷺ فى الصفات ، ثم اختاره الله عز وجل الذى خلق الأنام (الناس) وأعلم بهم ، اختاره ﷺ ليكون قريبا منه أثيرا (مفضلا) لديه تعالى .

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ
فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

معانى المفردات

التنزيه : البعد
المحاسن : جمع محسن ، وهو الحسن والبها .
جوهر الشئ : أصله
الانقسام : الافتراق والتشعب

الاجمالي

وهو ﷺ الذى لا يوجد له شريك فيما اتصف به من بهاء وفضائل متكاملة غير قابلة للانقسام والتجزئة ولا فى الوجود فى أحد سواه ﷺ بالتقسيم فهو ﷺ مفرد فيها متفرد بها .

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

معانى المفردات

دع	: اترك
النصارى	: جمع نصرانى ، منسوب الى الناصرة بلدة المسيح عليه السلام ، وسموا نصارى لأنهم نصروه عليه السلام
ما ادعته النصارى	: من قولهم المسيح ابن الله
احكم	: اقض ، أى تصرف فى المدح كما تشاء
المدح	: الثناء وذكر المحاسن
احتكم	: اختصم ، وأيضا راع الحكمة

الاجمال

وإنك تستطيع أن تتصرف بالمدح فيه وأن تصفه ﷺ بما تشاء ، ولكن يجب ألا تتغالى فى هذا المدح حتى تصل الى تأليهه ﷺ كما فعل النصارى الذين قالوا .. " انما المسيح ابن الله " .

وذلك من قوله ﷺ " لا تطرونى كما أطرى النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله " والاطراء المدح أى لا تصفونى بذلك .

وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

معاني المفردات

انسب	:	أعز أو ارجع ، أي صف
الذات	:	الحقيقة
شرف	:	رفعة
قدره	:	مكانته ومنزلته
عظم	:	عظمة وتعظيم

الإجمالي

وإنك تستطيع أن تلحق بذاته الكريمة ﷺ ما شئت من صفات الرفعة والكمال وغير ذلك من متعلقات الجسد ، والى مقامه وقدره ﷺ ما شئت من معان سامية تتعلق بالأخلاق والأمور غير الحسية .

وقد وردت بداية البيت في بعض الطبعات بلفظ (فانسب) بدلا من (وانسب) وهذا لا يغير من المعنى شيئا .

فإذا قلنا (فانسب) فإن هذا البيت يعتبر إضافة الى البيت السابق من قوله واحكم .. الخ ، وذلك بمعنى احكم بالمدح فانسب الى ذاته ﷺ ما شئت من شرف .. الخ ، ويكون هذا البيت تفصيل لما سبق اجماله في البيت السابق .

وإذا قلنا (وانسب) فالمعنى احكم بالمدح وصف الى

ذلك أن تنسب الى ذاته ﷺ ما شئت من شرف ٠٠الخ ،
وبذلك يكون هذا البيت اكمال لما سبق إيراده في البيت السابق ٠

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

معاني المفردات

فضل	: صفات عظيمة
حد	: غاية ، نهاية
يعرب	: يبين ، يفصح
ناطق	: متكلم
بفم	: بلسان

الإجمالي

وهذا البيت توضيح لما سبق من أبيات تدعوا الى مدحه وتقدمه وعلاه ﷺ على جميع الرسل وبيان سبب ذلك ٠

فان نعمه وخيراته وشرفه وعظمته ﷺ ليس لها حدود ولا يمكن أن يعطيها حقها من الوصف والمدح أى انسان أو أن يعبر عنها بأى بيان ٠

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

معاني المفردات

ناسبت	:	ماثلت ، أو جاءت على مقدار
قدره	:	مقامه ، مبلغه من الرفعة
آياتــه	:	علاماته الدالة على عظم مكانته
اسمــه	:	تسميته ، أو الدعاء باسمه
يدعى	:	ينادى
الدارس	:	القديم ، الذاهب ، المنتهى البالي المهدم
الرمم	:	بكسر الراء وفتح الميم ، جمع رمة ، وهي أجساد الموتى وعظامها البالية

الإجمالي

ومعنى هذا البيت مكمل لسياق البيت السابق ، فإن فضل رسول الله ﷺ لا يمكن بيانه ولا معرفة حدوده ، كما أن العلامات الدالة عليه ﷺ لم تأت - على كثرتها واعجازها - مناسبة لمكانته وعظمته ، فإنها لو كانت كذلك لكان منها ما يحيي الموتى ويعيد الحياة الى العظام البالية إذا ما ذكر عليها اسمه ﷺ .

فالأصل في الشطر الثاني من البيت أن يكون " أحيا اسمه

دارس الرمم حين يدعى به " بمعنى أن تحيي هذه العظام البالية إذا ما ذكر عليها اسم سيدنا محمد ﷺ كأن تقول عد الى الحياة باسم سيدنا محمد ﷺ فيعود الى الحياة أو أن تدعوا الله تعالى متشفعا بسيدنا رسول الله فتقول يارب بسيدنا محمد ﷺ احيى هذا الميت أو أعد هذه العظام النخرة الى الحياة فيحدث ذلك .

وحيث أن هذا لم يحدث فإن علاماته ﷺ أقل من أن تعبر عن مكانته ﷺ .

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ
حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

معانى المفردات

يمتحنا	: يختبرنا ، يبتلينا
تعيا	: تعجز ولا تهتدى فيه الى الصواب
حرصا علينا	: الحرص هو شدة الرغبة فى الشئ ، والمقصود حرصا على هدايتنا
نرتب	: حالة الجزم من نرتاب ، أى نشك
نهم	: بفتح النون وكسر الهاء ، من وهم يهم ، إذا تحير فى أمره وأخطأ وسها ولم يجد له مخرجا فضلّ سواء السبيل

الاجمالى

لم يختبرنا ﷺ بما يعجز العقول حرصا منه ﷺ على هدايتنا وعلينا من أن نتشكك أو نحتار فى أمرنا أو تذهب عقولنا .

أَعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

معانى المفردات

أعيا	:	أتعب وأعجز
الورى	:	الخلق
فهم	:	معرفة وادراك
معناه	:	حاله ، حقيقته
منفحم	:	انفحم الرجل ، سكت وعجز عن المجادلة ولم يجب لانه مغلوب بالحجة

الاجمالى

إن الخلق قد تعبوا واحتاروا فى فهم كنهه وحقيقته ﷺ فإن كل من زاد فى هذا الفهم وكل من قصر فى ذلك سكت وعجز عن المحاولة حيث غلب بالحجة البالغة ، وهى عدم التوصل الى حقيقة ذاته ﷺ .

أو أن فهم ذاته الشريفة ﷺ قد استغلق على الجميع سواء فى ذلك من قرب أو بعد منه ﷺ مكانا أو زمانا .

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ
صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

معانى المفردات

تكل الطرف : تتعب العين عند رؤيتها
أمم : بفتح الألف والميم الأولى ، قرب

الإجمالى

وهو ﷺ فى ذلك كالشمس تبدو للناظر اليها صغيرة إذا ما نظر اليها عن بعد ، ولكن العين تتعب إذا ما نظرت إليها عن قرب .

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

معانى المفردات

تسلوا : قنعوا ، تلهوا
الحلم : ما يرى فى المنام

الإجمالى

وهنا يسأل الامام سؤالا بمعنى النفى والانكار يكمل به معنى البيت السابق الذى يوضح أن الناس لم يعرفوا حقيقة النبى

ولا قدره ولا منزلته ﷺ لأنهم شغلوا أنفسهم برؤيته ﷺ في المنامات وقنعوا بذلك بدلا من الاجتهاد في استجلاء ما يتمتع به ﷺ من صفات كريمة وشمائل وأفضال .

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

معاني المفردات

مبلغ العلم	:	غاية ومنتهى ما علموه
بشر	:	اسم لبني آدم ، أي انسان
خلق الله	:	جميع المخلوقات

الاجمالي

ويكمل الامام سياق البيت السابق فيقول هنا أن كل ما توصل اليه هؤلاء الناس ، وأيضا كل من حاول فهم حقيقته ﷺ أنه ﷺ بشر من بني الانسان وأنه ﷺ أفضل خلق الله تعالى جميعا .

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

معاني المفردات

آي	:	جمع آية ، أي معجزة وعلامة
أتى	:	جاء أو أظهر

الاجمالي

إن كل ما أتى به النبيون سلام الله تعالى عليهم من آيات ورسالات كان مصدرها نوره الشريف وهديه ﷺ وأنهم رضوان الله تعالى عليهم جميعا قد استمدوا من نوره وأخذوا عنه ﷺ فنوره ﷺ سابق عليهم جميعا .

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

معاني المفردات

الظلم : يقصد بها هنا الأمم التي عمها الجهل

الاجمالي

وهذه أنوارهم عليهم السلام مستمدة منه ﷺ وهو شمس الخيرات والبركات ، وهم الكواكب والنجوم التي تدور في فلك هذه الشمس ، ودورهم قاصر فقط على إظهار نورها في أممهم لتبدد ظلمات الجهل والكفر .

وأنه إذا ما ظهرت هذه الشمس ، بظهور الدعوة الى الاسلام ، توارت واختفت غيرها من الشرائع بدخول أهلها الدين الحنيف .

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ

معاني المفردات

خلق	:	بفتح الخاء وسكون اللام ، ايجاد من العدم
مشتمل	:	ملفوف ، أى أن الحسن قد أحاطه من كل ناحية ، فهو ﷺ لابس ثوب البهاء
البشر	:	طلاقة الوجه
متسم	:	متصف ، معلم من السمة أى العلامة

الاجمالي

ما أفضل وأجدر هذا النبى ﷺ بالاحترام وقد جملته أخلاق لفها وأحاطها البهاء ، وهو ﷺ متميز بالاشراق وطلاقة الوجه وسعة الصدر .

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ

معاني المفردات

الزهر	:	نور (بفتح النون) النبات

ترف : رقة ، لطافة ، نضارة
شرف : علو ورفعة
البدر فى شرف : القمر عند تمامه فى رفعته وعلو منزلته
الدهر : الزمان
همم : جمع همة ، وهى الإرادة ، العزم على الشئ

الاجمال

وصف البحر بالجود لكثرة خيراته وعظم ما ينتفع به ثم شبه به سيدنا رسول الله ﷺ فى هذا المجال .

وهو ﷺ كالزهر فى الرقة و النضارة ، وكالقمر فى الرفعة والعلو ، وكالدهر فيما يقع فيه من أمور عظيمة ويكفى هذا الدين الذى جاء به ﷺ فهز الدنيا كلها فهو أعظم حادث جرى على مر الزمن .

كَأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

معانى المفردات

جلالته : عظم قدره
العسكر : الجيش الكبير
الحشم : الخدم والأتباع

الإجمالي

ونتيجة لكل ما تحلى به المصطفى ﷺ من صفات وردت فى بيانها الأبيات السابقة فإنك تشعر عندما تقابله ﷺ وهو فرد كأنه يمشى فى جيش كبير العدد أو من الخدم والأتباع ، وذلك لفرط (لعظم) هيبته وعظم قدره ﷺ .

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِى صَدَفٍ
مِنْ مَعْدِنَىْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمِ

معانى المفردات

المكنون : المصون
الصدف : المحار
معدن الشئ : موضع إقامته ، أصله
منطق : كلام
مبتسم : بضم الميم وفتح السين ، مكان الابتسام أى الشفتين

الإجمالي

والامام هنا يشبه حسن اللؤلؤ المحفوظ فى أصدافه وجماله وكأنه يماثل ومن نوع ومعدن واحد كلام سيدنا رسول الله ﷺ وابتسامته وثغره وفمه ﷺ .

وتشبيه اللؤلؤ هنا بكلامه وفمه الشريف ﷺ على عكس ما هو متبع من وصف الكلام باللؤلؤ فيه تقوية للمعنى .

لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظُمَهُ
طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

معانى المفردات

الطيب	: كل ذى رائحة عطرة يتطيب به
يعدل	: يساوى ، يماثل
تربا	: ترابا
ضم	: حوى ، اشتمل على
أعظم	: جمع عظمة ، والمراد بدنه ﷺ
طوبى	: الحسنى والسعادة أو البشرى بالحسنى والسعادة ، أو البشرى بتلك المنزلة من الجنة
منتشق	: شام ، من يشم
ملتثم	: مقبل

الاجمالى

لا يوجد نوع من أنواع الطيب والعطر يماثل رائحة التراب الذى يضم نبينا ﷺ فهنيئا لمن يشمه أو يقبله .

والمراد بشرى لمن يشم أو يقبل الأرض التى تضم رفات النبى ﷺ بأن له هذه الشجرة ذات الظلال الوارفة بالجنة أو هذه المنزلة من الجنة ، وفى ذلك كل الخير والسعادة .

الفصل الرابع

فى مولده عليه الصلاة والسلام

يتضمن هذا الفصل ١٣ بيتا فيها يتحدث الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه عن المعجزات التى حدثت يوم ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ .

وبداية الفصل غير منفصلة عن سياق الأبيات التى فى نهاية الفصل الثالث من مديح لسيدنا المصطفى ﷺ .

فيقول الامام أن مولده ﷺ قد أظهر وكشف عما له ﷺ من أصل عريق فأكرم ببداية منه ﷺ ونهاية

(أبان مولده عن طيب عنصره : يا طيب مبتدأ منه ومختتم)

وأنه قد حدث فى هذا اليوم العظيم حوادث عظيمة هى الأخرى ، ففيه أدرك الفرس – وهم الدولة العظمى فى ذلك الوقت – بما لهم من مهارة وخبرة فى ممارسة السياسة أنهم مقبلون على أوقات عصيبة من الهزيمة والقهر وزوال النعمة

(يوم تفرس فيه الفرس أنهم : قد أنذروا بحلول البؤس والنقم)

ومن علامات ذلك تصدع صالة عرش ملكهم كسرى (إيوان

كسرى)وكان هذا الايوان عبارة عن سقف هائل ممتد لا تحمله أعمدة إلا من طرف واحد ، وقد تشقق هذا البناء العظيم ، وكذلك فإن أصحاب كسرى وهم المقربون من ملكهم كسرى ، وكذلك عامة شعبه الذين ينسبون الى دولته قد أصابهم الاضطراب وعمتهم الفوضى (**وبات ايوان كسرى وهو منصدع : كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم**) ثم ها هى نار الفرس المقدسة التى ظلت مشتعلة على مدى ١٠٠٠ عام كاملة متصلة قد انطفأ لهيبها ، وكذلك نهر الفرات الذى كان يسقى الفرس قد سكن عن الجريان ، وكأنهما قد أصابهما الحزن على ما أصاب أمتهما ، أو على ما أصاب كسرى وأصحابه (**والنار خامدة الأنفاس من أسف : عليه والنهر ساهى العين من سدم**) ، وهذه بحيرة ساوة قد ابتلعت الأرض ماءها وهو الأمر الذى أغضب أهلها وأضر بهم خاصة من كان يذهب اليها ليرتوى فيعود وقد أصابه الغضب (**وساء ساوة أن غاضت بحيرتها : ورد واردها بالغيظ حين ظمى**)وكأن الماء والنار فى هذه الحال من انطفاء النار وسكون النهر وجفاف البحيرة ، قد أبدلتا صفاتها من شدة الحزن ، فأخذت النار من الماء صفة البلل وأخذ الماء من النار صفة الالتهاب ، فلا بقيت النار ولا بقى الماء (**كأن بالنار ما بالماء من بلل : حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم**)

وهذه أيضا الجن وقد أخذت تصرخ من فرط ما أصابها من ذعر وهلع ، وقد أخذ نور الحق يظهر بظهور البوادر الرئيسية لبزوغ فجر الاسلام (**والجن تهتف والأنوار ساطعة : والحق يظهر من معنى ومن كلم**) ، ومع ذلك فإن هؤلاء القوم (الفرس) لم يستجيبوا لهذه النذر الواضحة وكأنهم قد أصابهم العمى والصمم (**عموا وصموا فاعلان البشائر لم : تسمع وبارقة الانذار لم تشم**) ،وذلك بالرغم من أن كاهنهم قد أخبرهم بأن ما هم فيه من انحرافات عن جادة الخلق وصحيح العبادة قد قارب على الزوال والانتهاء بظهور أول علامات على الدين الجديد وهو الاسلام وهى مولد النبى محمد ﷺ (**من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم : بأن دينهم المعوج لم يقم**) وبعد أن رأوا الشهب تنقض من الأفق على الأصنام التى يعبدون من دون الله تعالى ، أو من بعد أن رأوا الآيات البينات من القرآن الكريم وقد انقضت وقضت على ما كانت فيه الأصنام من عزة ورفعة ومكانة مقدسة (**وبعد ما عاينوا فى الأفق من شهب : منقضة وفق ما فى الأرض من صنم**) ، وقد استمر انتشار الاسلام وانقضاض هذه الشهب حتى صارت الشياطين التى كانت تعترض طريق الدعوة الاسلامية المباركة من شياطين الانس والجن تهرب وراء بعضها البعض وقد لحقها جميعا الخزى والهزيمة (**حتى غدا عن طريق الوحى منهزم : من الشياطين يقفوا**

إثر منهزم)وكأنهم في هذا الجرى والهروب والهزيمة جنود أبرهة الاشرم (أصحاب الفيل) ذلك الجيش الذى جاء قبل الاسلام لهدم الكعبة المشرفة فأخزاهم الله تعالى وشتتهم وأهلكهم بالطير التى رمتهم بالحجارة ، أو كأنهم جنود أصابهم مثل هذا الحصى ولكنه هذه المرة من يدى سيدنا رسول الله ﷺ (كأنهم هربا أبطال أبرهة :أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى) ،وقد ألقاه ﷺ عليهم بعد أن ذكر عليه اسم الله تعالى ، وذلك كما فعل الحوت عندما أخرج سيدنا يونس عليه السلام من بطنه بعد أن كان قد ابتلعه عندما دعا يونس عليه السلام ربه تعالى .. " لا اله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين " .. (نبذا به بعد تسبيح ببطنهما : نبذ المسبح من أحشاء ملتقم)

....

ونستعرض فيما يلى تفاصيل هذا الفصل .

....

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ
يَاطِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

معانى المفردات

أبان : كشف ، أوضح ، أظهر

مولده : عملية الولادة نفسها ، أو زمانها ، أو مكانها ، والأول هو المقصود على الأرجح
طيب : الطيب هو الخلو مما يشين
عنصره : أصله

الإجمالي

لقد أظهر مولد النبي صلوات الله تعالى عليه مالم ﷺ من أصل طيب طاهر عريق فأكرم بهذه البداية ، وأيضا بكل ما يصير وينتهي اليه أمره وحاله ﷺ .

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُ
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ والنِّقَمِ

معاني المفردات

تفرس : تفطن بالظن الصائب ، رأوا ببعد نظرهم
الفرس : بضم الفاء وسكون الراء ، أمة عظيمة كان مسكنهم بشمال العراق
الانذار : الاعلام بشيء غير سار
حلول : من حل يحل ، أى نزل
البؤس : العذاب والخوف
النقم : جمع نقمة ، وهى العقوبة

الاجمالى

فى ذلك اليوم .. . يوم مولده ﷺ ... عرف الفرس وهم أمة عظيمة بشمال العراق ، قيل سموا كذلك لأنهم ولد فارس من نسل سام بن نوح عليه السلام ، وقيل لأنه ولد لأبيهم بضعة عشر رجلا كان كل منهم شجاع فارس فسموا الفرس وكانوا مجوسا يعبدون النار ... عرفوا بما لهم من ذكاء وفطنة وخبرة بأمور السياسة أنهم سوف ينزل بهم العذاب و، وأن ما يعيشون فيه من نعم سوف يزول .

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

معانى المفردات

بـات	: أمسى
الايوان	: صالة عرش ملك الفرس ، وهى سقف مساحته ١٠٠ ذراع فى مثلها
كسرى	: لقب ملك الفرس ، والمقصود هنا هو كسرى أنو شروان بن قباد بن فيروز
منصدع	: منشق ، مرتج
شمل	: حال ، جمع ، عدد
غير ملتئم	: غير مجتمع ، غير ساكن ، مضطرب

الإجمالي

وفي أمسية هذا اليوم العظيم كان إيوان كسرى وهي صالة عرشه التي كانت عبارة عن سقف كبير مساحته ١٠٠ ذراع في مثلها ليس لبعض جوانبه جدر ، مبني طوليا غير مسدود المقدمة ، تحمله أعمدة من ناحية واحدة ، وكان يجلس فيها لتدبير أمور ملكه ، وكان بناؤه قد استغرق أكثر من عشرين عاما ، أمسى هذا الإيوان وقد تشققت جوانبه وارتجت حتى سقطت منه أربعة عشر شرفه ، شأنه في ذلك شأن أهل فارس الذين أصابهم الاضطراب وعمتهم الفوضى ، خاصة من كان منهم أكثر قربا من ملكهم .

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

معاني المفردات

خامدة : خمدت النار أي سكن لهيبها ولم يطفأ جمرها

الانفاس : جمع نفس

خامدة
الانفاس : تخمد النار إذا سكن لهيبها ولم يطفأ جمرها ، والأنفاس هي الهواء الذي يتردد بالرئة

وهو دليل الحياة ، أى انطفأت النار

أسف : حزن

النهر : المراد هنا نهر الفرات

ساهى العين: ساكن عن الجريان

سدم : بفتح السين والدال ، هم أو غيظ أو ندم مع حزن

الاجمالى

أما النار المقدسة التى كان الفرس يعبدونها والتى ظلت مشتعلة على مدى ألف عام متصلة - حيث يقوم عليها خدم ليل نهار يوقدونها - فقد خبا لهيبها وكأنها بذلك تعبر عن حزنها على ما صار اليه حال أصحابها - الفرس - وملكها

كما أن نهر الفرات قد ضل طريقه المعتاد ووقع فى وادى سماوة وهى بادية بين سوريا والعراق وسكن عن الجريان ، وكأنه هو أيضا يشارك فى الحزن والغيظ .

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا

وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِى

معانى المفردات

ساء : أحزن

ساوة : مدينة من بلاد الفرس

بحيرة ساوة : بحيرة عظيمة بالقرب من مدينة

ساوة وتنسب لها

غاض الماء	:	نضب ، ذهب فى الأرض
رد	:	رجع
واردها	:	الآتى اليها للسقى
الغيظ	:	الغضب
ظمى	:	عطش

الاجمالى

كما أن البحيرة العظيمة التى بمدينة ساوة ، والتى كان طولها عشرة أميال وعرضها ستة ، قد جف ماؤها وابتلعته الأرض ، مما أحزن أهلها ورجع من كان منهم قد ذهب الى البحيرة ليستقى ويرتوى من عطش ،عاد مغيظا .

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ
حُزْنًا وبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

معانى المفردات

ضرم	:	التهاب

الاجمالى

صور الامام رضى الله تعالى عنه حال النار والماء لفرط (لشدة) حزنهما على ملك كسرى وكأن طبيعتهما قد انعكست ، فانقلب توهج النار بللا وبلل النار التهابا .

فكأن نار الفرس ونهر الفرات وبحيرة ساوة قد تبادلوا صفاتهم ، فها هى النار قد خمدت وكأنها أصابها البلل الذى بالماء ، والماء هو الآخر قد أصابه ما فى النار من لهيب فتبخر وذهب .

وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ

معانى المفردات

الجن	: خلاف الانس ، سموا كذلك لاجتنانهم أى استتارهم عن العيون
تهتف	: تصيح
الحق	: نور النبوة وصدقها

الاجمال

وهذه الجن تصيح من فرط ما أصابها من ذعر بينما نور النبوة يسطع ويظهر الحق مجسدا فى مولد النبى ﷺ مبشرا بما جاء به ﷺ من دين ومبادىء .

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ
تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

معاني المفردات

عموا وصموا :	لم يروا ، ولم يسمعوا وهم الكفار ، وكأنهم أصابهم العمى والصمم
إعلان :	إظهار
البشائر :	جمع بشارة وهى الخبر السار
بارقة الانذار :	البارقة هى السحابة اللامعة والانذار الاعلام بالسوء ، أى هذا الانذار الواضح الساطع
لم تشم :	لم تر ، لم تنظر ، تقول شمت البرق إذا نظرت الى السحابة لترى أين تمطر

الاجمالى

ورغم كل هذه النذر من تشقق الايوان وما تلاه من اشارات ونذر واضحة جلية وضوح البرق اللامع إلا أن الكفار لم يتعظوا بها ولم يستجيبوا لها وكأنهم قد أصابهم العمى

والصمم ، وأيضا لم يستجيبوا للبشائر والدلائل بمولد سيدنا رسول الله ﷺ وما تحمله للبشرية من بوادر الخير .

فهم فى جحود هم هذا كمن هو أعمى وأصم .

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
بِأَنَّ دِينَهُـــمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

معانى المفردات

الكاهن : الذى يخبر عن المغيبات التى مضت

معوج : منحرف عن الطريق السوى

لم يقم : لم يدم ، لم يستمر

الاجمالى

وقد حدث كل هذا بعد أن أخبر هؤلاء الناس رجـــل الدين منهم — وكان له فى هذه الأيام أعظم شأن — والـــذى يعتمدون عليه فى معرفة الغيب ، أخبرهم بأن دينهـــم المنحرف عن الطريق القويم لم يعد له وجود ولن يستمر .

وهنا اتصال فى المعنى بالبيت السابق أى أن الكفـــار كانوا على ما هم عليه من عدم التجاوب مع البشارات أو الاتعاظ بالنذر بالرغم من وضوحـــها ، وأيضا من بعد أن أخبرهـــم العراف بنهاية ما هم فيه من ضلال .

وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

معاني المفردات

عاينوا	:	شاهدوا
الافق	:	هو البعد الذى يحدده النظر وكأن السماء عنده تنطبق على الأرض ، والمراد السماء
الشهب	:	جمع شهاب ، وهى النجوم التى ترمى بها الملائكة الشياطين عند استراقهم السمع
منقضة	:	ساقطة بقوة ، من السهم إذا سقط بقوة
وفق	:	أى موافقة فى سقوطها لسقوط الأصنام فى الارض ، أو هى تسقط عليها بعددها واحدا فواحد

الاجمالى

وأيضا ظلوا جاحدين بعد ما رأوا النجوم المحرقة وهى تسقط من السماء فى سرعة وقوة على التماثيل التى كانوا يعبدون من دون الله تعالى ويصيب كل منها نجم يدمره .

وقد يقصد أيضا أن آيات الله تعالى وعلامات النبوة قد

أتت على ما كان فيه الكفار من طقوس وعبادات .

وفي هذا البيت أيضا اتصال في المعنى بالبيتين السابقين من استمرار الكفار على الانكار بالرغم مما تقدم وأيضا رؤية الشهب الساقطة .

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

معاني المفردات

غدا	:	أصبح ، ذهب
الوحي	:	الكلام الخفي يلقى الى الأنبياء
منهزم	:	هارب ، من الانهزام أي ، أي الهرب
يقفوا إثره	:	يتبعه هاربا مثله

الاجمالي

وقد استمرت هذه الحال من النذر والبشائر وانقضاض من الشهب على الأصنام حتى ذهب الشياطين من الانس والجن عن طريق الدعوة المحمدية والوحي الالهي واحدا بعد الآخر وكلهم منهزم مدحور .

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ
أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِى

بيان المفردات

الهرب	:	الفرار السريع
أبطال	:	جمع بطل وهو الشجاع
أبرهة	:	كلمة حبشية معناها الابيض الوجه ، والمقصود ابرهة الاشرم
أبطال أبرهة	:	هم أصحاب الفيل
العسكر	:	الجيش العظيم
الحصى	:	جمع حصاة ، وهى حجارة صلبة صغيرة الحجم
الراحة	:	الكف
رمى	:	القى

الاجمالى

والبيت هنا متمم للبيت السابق ، فكأن هؤلاء الهاربين من شياطين الانس والجن هم جنود أبرهة الأشرم الذى كان ملكا على اليمن من قبل النجاشى ملك الحبشة قبل البعثة المحمدية المباركة ، والذين سار بهم تتقدمهم الفيلة لهدم الكعبة الشريفة ، فأخزاهم الله تعالى وهزمهم وفرق شملهم بأن أرسل عليهم طيورا كثيرة ترميهم بحجارة حتى أفنتهم .
(قصة أصحاب الفيل فى القرآن الكريم)

وكأن هولاء الكفار الهاربين حين ألقى النبي ﷺ في وجوههم بالحصى وهو في كفه الشريفة ﷺ كما روى في غزوة بدر قد أفناهم كما حدث مع أصحاب الفيل .

نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا
نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

معاني المفردات

نبذا به	:	النبذ هو الطرح أو الالقاء والمراد بالحصى
التسبيح	:	التنزيه عن كل نقص
المسبح	:	هو سيدنا يونس عليه السلام
الملتقم	:	الملتقط بفمه ، والمراد حوت يونس عليه السلام

الاجمالي

الضمير في (به) يعود على الحصى في البيت السابق والمراد أن الحصى الذى رمى به النبي ﷺ الكفار في غزوة بدر

قد انطلق من راحته الشريفة ﷺ وكأنه قد سبح فيها فانطلق منها كما حدث من خروج سيدنا يونس عليه السلام من بطن الحوت الذى كان قد ابتلعه ، فلما ذكر الله تعالى قذفه من بطنه .

الفصل الخامس

في معجزاته صلى الله عليه وسلم

يتكون هذا الفصل من ١٦ بيتا ، وهو خاص بمعجزات النبي ﷺ ، وفيه يتكلم الامام البوصيري رضي الله تعالى عنه عن الغمامة التي كانت تظلل سيدنا رسول الله ﷺ في رحلاته عندما كان يخرج على تجارة السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وأرضاها قبل البعثة المحمدية الشريفة لتقيه ﷺ حر الظهيرة الملتهب ، وكذلك ظلت تلازمه في الكثير من الأيام **(مثل الغمامة أنى سار سائرة : تقيه حر وطيس للهجير حمى)** ثم هذه الأشجار التي جاءت اليه ﷺ مستسلمة مستجيبة لدعوته وسارت اليه ﷺ على سوقها (جمع ساق) تاركة في الطريق أثرا يدل عليها وعلى سعيها لتسجد بين يديه الشريفة ﷺ **(جاءت لدعوته الأشجار ساجدة : تمشي اليه على ساق بلا قدم)** وكأنها بذلك الأثر تكتب ما أملته فروعها بخط جميل في وسط الطريق **(كأنما سطرت سطرا لما كتبت : فروعها من بديع الخط باللقم)** .

ثم هذه واقعة انشقاق القمر التى اعجز بها النبى ﷺ من تحداه ﷺ من الكفار ، ويقرن الامام بينها وبين واقعة شق الملكين لصدره الكريم ﷺ (أقسمت بالقمر المنشق أن له : من قلبه نسبة مبرورة القسم) .

وهذا هو رسول الله ﷺ بين الناس يشفى المرضى بلمسة من يده الشريفة ويهدى الى الخير عصاة أشقياء تمكنت منهم الخطايا (كم أبرأت وصبا باللمس راحته : وأطلقت أربا من ربقة اللمم) .

كما أن الدعوة الاسلامية المباركة أو دعاؤه هو ﷺ قد حول السنة الجدباء حتى صارت يضرب بها المثل فى الخير العميم (وأحيت السنة الشهباء دعوته : حتى حكت غرة فى الأعصر الدهم) وذلك بأن هطل المطر الغزير - وهو دليل الخير - حتى ليخيل الى الناظر الى هذا المكان المجدب فإذا به وكأنه قد أصبح بحرا أو أصابه سيل شديد (بعارض جاد أو خلت البطاح بها : سيب من اليم أو سيل من العرم) .

على أن الأغلب - وهو ما يؤيده سياق الأبيات التالية - أن الامام البوصيرى قصد بالسنة الشهباء أى الجدباء تلك الحياة الجاهلية التى كان عليها العرب قبل الاسلام وما خرجت اليه من نور بعده وأن ذلك كان نتيجة دعوة سيدنا محمد ﷺ بالاسلام الحنيف والقرآن الكريم ، وهو ما شبهه الامام

بالمطر الغزير أو ماء البحر الكثير أو السيل الشديد الذى اكتسح أمامه ظلمات الجاهلية .

وفى هذا الفصل يقرر الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه أن معجزات سيدنا رسول الله ﷺ قد امتدت لتشمله هو شخصيا ، فما من مرة أصابه الظلم والقهر ولجأ الى سيدنا رسول الله ﷺ مستعينا مستغيثا به ﷺ طالبا للحماية إلا وجد فى جواره وحمايته الكريمة ﷺ الأمن من كل شىء والحماية الكاملة (**ما سامنى الدهر ضيما واستجرت به : الا ونلت جوارا منه لم يضم**) وأن الامام لم يطلب شيئا من خير الدنيا أو الآخرة من سيدنا رسول الله ﷺ إلا وأتاه العطاء الوفير من خير من أعطى ومن خير من يد امتدت بالعطاء (**ولا التمست غنى الدارين من يده : الا استلمت الندى من خير مستلم**) .

ويتكلم الامام عن الهجرة وما صاحبها من معجزات بتصوير رائع لما حدث عند الغار الذى لجأ اليه رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأرضاه وان كان لا يذكرهما بالاسم صراحة بل يكنى عن كل منهما بصفته ، فرسول الله ﷺ هو " الخير " وأبو بكر رضى الله تعالى عنه هو " الكرم "

أو أن كليهما هو " الخير والكرم " وكيف أن أعين الكفار عميت عنهما فلم يروهما (**وما حوى الغار من خير ومن كرم : وكل طرف من الكفار عنه عمى**) ، ثم يعود فى البيت التالى للكناية عنهما من جديد فسيدنا رسول الله ﷺ هو " الصدق " وأبو بكر رضى الله تعالى عنه هو " الصديق " وكيف أنه بالرغم من أنهما لم يبرحا (يغادرا) الغار فالكفار يقولون أنه ليس به أحد (**فالصدق فى الغار والصديق لم يرما : وهم يقولون ما بالغار من أرم**) ظنا من هؤلاء الكفار أن الحمامة لم تحم على سيدنا رسول الله ﷺ الذى كنى عنه الامام رضى الله تعالى عنه بلفظ " خير البرية " وأن العنكبوت لم ينسج عليه ﷺ خيوطه وذلك لفرط سرعة ما تم من نسج العنكبوت لبيته ومجئ الحمامة ووضع بيضها عليه (**ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على : خير البرية لم تنسج ولم تحم**) وبهذا تكون عناية الله تعالى ورعايته لرسوله الكريم ﷺ المهاجر فى سبيل الله تعالى ورفيقه بتسخيره تعالى للعنكبوت والحمامة لاخفاء المهاجرين الكريمين قد جعلت أنه من غير الضرورى اللجوء الى القوة والسلاح والقلاع الحصينة لمواجهة هذا الجمع من الكفار (**وقاية الله أغنت عن مضاعفة : من الدروع وعن عال من الأطم**) .

ثم هذه معجزة الوحى حتى إذا ما كان يتم عن طريق

الرؤيا وهو ما يجب تصديقه والتسليم به فإن له ﷺ قلبا لا ينام حتى لو نامت عيونه ﷺ **(لا تنكر الوحى من رؤياه إن له : قلبا إذا نامت العينان لم ينم)** وأن هذه الرؤى لا يمكن أن تكذب بعد أن ثبتت نبوته ﷺ وهو أمر لا يمكن أن تصاحبه احتمالات الكذب **(وذاك حين بلوغ من نبوته : وليس ينكر فيه حال محتلم)** ، وسبحان الله العظيم تعالى الذى يمن بكرمه بهذا الوحى الذى يأتى منه تعالى وليس أمرا يتعلمه الانسان بمهارته الذاتية ، وعلى ذلك فلا يجب اتهام نبى على ما يأتيه من عند الله تعالى ولا نعلمه نحن **(تبارك الله ما وحى بمكتسب : ولا نبى على غيب بمتهم)** .

. . . .

ونستعرض فيما يلى تفاصيل هذا الفصل

. . . .

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
تَمْشِى إِلَيْـهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ

معانى المفردات

دعوة	:	نداء
ساجدة	:	خاضعة
القدم	:	طرف الرجل

الاجمالي

حضرت الأشجار خاضعة ساجدة لدعوة سيدنا محمد بالرغم من أنه ليس لها أقدام فكانت تمشي على سوقها .

وفي ذلك اشارة الى ما يروى من أن اعرابيا سأل سيدنا رسول الله ﷺ أن يظهر له آية فقال له ﷺ قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك .

فمالت الشجرة في هذا الاتجاه وذلك حتى قطعت جذورها ثم جاءت تجر ساقها على الأرض فوقفت بين يديه ﷺ وقالت السلام عليك يارسول الله .

قال الاعرابي : مرها فلترجع الى منبتها .

فأمرها فرجعت ودلت جذورها في منبتها واستوت كما كانت .

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ

فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِاللَّقَمِ

معاني المفردات

السطر : الخط

اللقم : وسط الطريق

الاجمالى

هنا تشبيه لما تركت سوق الاشجار فى سعيها إليه ﷺ من أثر فى وسط الطريق بالكتابة ، وكأن فروع هذه الأشجار قد أملت على سوقها (جمع ساق) كلاما هو تسليم بالدعوة المحمدية وتصديق بها .

وهذا البيت يكمل السابق .

مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً
تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِى

معانى المفردات

الغمامة : السحابة
أنى : كيف ومتى وأين
تقيه : تحفظه
الوطيس : التنور (الفرن) المشتعل والمراد هنا لازمة هذا التنور وهى الحرارة ، ومنها حمى الوطيس اذا اشتد
الهجير : الهاجرة ، وهو الوقت وسط النهار أيام القيظ (شدة الحر)

الاجمالى

وآية أخرى لسيدنا رسول الله ﷺ وهى أن الغمامة كانت تحميه ﷺ من شدة الحر ، وتسير مظللة أينما سار

أقسمتُ بالقمرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

معانى المفردات

أقسمت بالقمر	:	حلفت برب القمر
نسبة	:	شبه
مبرورة	:	من بر فى اليمين أى صدق
القسم	:	اليمين

الاجمالى

إنشق القمر آية للنبى ﷺ حينما سأله كفار مكة آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين إحداهما فوق الجبل والأخرى على السفح ، وقال ﷺ اشهدوا ، فقالوا قد سحر محمد أعيننا ، فابعثوا الى أهل الآفاق لسؤالهم هل رأوا مثل ما رأينا ، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا ، فقال الكفار " هذا سحر مستمر " .

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

معانى المفردات

حوى	:	ضم ، جمع فيه
الغار	:	تجويف فى الجبل ، أو ثقب فيه ، والمقصود غار ثور أسفل مكة المكرمة

الاجمالى

وفى هذا البيت والأبيات الثلاث التالية يتحدث الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه عن معجزة الهجرة وما حدث عندما لجأ سيدنا رسول الله ﷺ ومعه سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى الغار .

والامام لم يذكرهما هنا صراحة ولكن كنى (عبر) عنهما بالخير والكرم ، بالجود وطيب الصفات .

ومع وجودهما فى الغار الا أن أحدا من الكفار لم يرهما .

والواو فى (وما) قد تكون الحاقا وعطفا على البيت السابق من قوله أقسمت بالقمر .. أى أقسمت بالقمر وأيضا بما حوى الغار .. الخ .

فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ

معاني المفردات

الصدق : المراد به سيدنا رسول الله

الصديق : المراد سيدنا أبو بكر رضى الله عنه

لم يرما : من رام المكان إذا زال عنه وفارقه ، أى لم يبرحا المكان أو يتركاه

وهم يقولون : المراد الكفار حول الغار

أرم : بفتح الألف ، مقيم ، موجود

الاجمالى

فهذا رسول الله ﷺ وأيضا سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لم يغادرا الغار والكفار يقولون أن الغار خال ليس به أحد .

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

معانى المفردات

ظنوا	:	حسبوا
تنسج	:	النسج هو الحياكة ، والمقصود هنا العنكبوت
تحم	:	الحوم هو الطواف حول المكان فى أمان ،والمقصود هنا الحمامة

الاجمالى

إن الكفار عندما رأوا العنكبوت والحمامة لم يتوقعوا أن يكون العنكبوت قد نسج خيوطه على الغار بعد أن دخله النبى ﷺ ، وكذلك الحمامة لم تضع بيضها على فم الغار الا بعد أن حدث ذلك ، فى مثل هذه السرعة والوقت القصير بين هجرته ﷺ وتتبع الكفار ، وهو وقت لا يسمح بمثل هذه الأمور ، ولكنها قدرة الله تعالى وعنايته .

وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

معانى المفردات

وقاية	:	حفظ
أغنت	:	أجزأت ، أى كفت
مضاعفة من الدروع	:	قد يكون المقصود الاكثار من الدروع ، أو قد يكون المقصود هو الدروع المضاعفة وهى المنسوجة فى حلقتين يلبسها المحارب لتحفظه من العدو
الأطم	:	بضم الهمزة والطاء ، هى الحصون ، وجمعها آطام ومفردها أطمة

الاجمال

فهذه عناية الله تعالى أسبغت الستر والحماية بدلا مما كان يستوجبه هذا الموقف من الدروع ، وهى ما يلبس فى الحرب للحماية ومواجهة الطعنات والتى كلما تضاعفت كلما كان ذلك أوجب ، وكذلك أغنت عن الحاجة الى القلاع التى يحتمى داخل حصونها .

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

معاني المفردات

سامني : كلفني وحملني
ضيما : ظلما وقهرا
جوارا : قربا
لم يضم : لم يحقر ، والمقصود قربا آمنا ، وعهدا بالحماية مرعيا

الاجمالي

وفي هذا البيت ينتقل الامام الى الكلام عن نفسه وعن لجوئه الى سيدنا المصطفى ﷺ فيقول أنه كلما أصابني ظلم أو قهر فإنني الجأ اليه ﷺ فأجد الحماية والامن ·

وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

معاني المفردات

التمست : طلبت
غنى : يسار ، ضد الفقر

غنى الدارين : الكفاية فى الدنيا ، والسلامة من العذاب فى الآخرة
من يده : من النبى ﷺ ، أو من نعمته
استلمت : أخذت
الندى : العطاء الوفير
مستلم : مكان الاستلام (التسلم) أى من خير مصدر للجود وهو نبينا محمد ﷺ

الاجمالى

ويكمل الامام البيت السابق هنا فيقول أننى أيضا كلما طلبت المزيد من متاع الدنيا والمزيد من خير الآخرة أعطانى سيدنا رسول الله ﷺ ما سألت وهو خير من أعطى وأجود .

لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

معانى المفردات

الانكار : الجحد أى عدم الاقرار بما هو ثابت
الوحى : ما يلقى اليه
رؤياه : ما يراه ﷺ فى نومه

الاجمالي

لا تجحد يا أيها المعاند المكابر الوحى اليه ﷺ في منامه فإنه ﷺ إذا نامت عيناه لا ينام قلبه ﷺ .

وَذَاكَ حِـينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيـهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

معاني المفردات

البلوغ : الوصول
محتلم : حالم ، البالغ العاقل

الاجمالي

كما أنه أوحى اليه ﷺ في الأربعين من عمره ﷺ وذاك حد بلوغ الرجولة ، فلا يمكن أن ينكر انسان الوحى من رؤياه ﷺ في هذه السن .

تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ
وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

معاني المفردات

تبارك : تعالى ، تعاظم ، تنزه

الاكتساب : هو تحصيل الشئ أو طلبه بأسبابه التى جرت العادة الغالبة بحصوله بها

غيب : إخبار بأمر غائب أو هو الغائب

بمتهم : بمظنون فيه الكذب

الاجمالى

ليس الوحى من كسب نبى من الانبياء ، وإنما هو الهام وعطاء من الله تعالى ، كما أن النبى ﷺ معصوم من الزلل فلا يجوز أو يصح اتهامه فيما آتاه الله تعالى وما أخبر به من الأمور غير المعروفة من قبل .

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِبًا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ
وَأَطْلَقَتْ أَرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

معانى المفردات

أبرأ : شفت

وصبا : بكسر الصاد : مريضا

بفتح الصاد هو المرض نفسه

اللمس : المس

الراحة : بطن اليد

أطلقت : خلصت وحررت

أربـا : بكسر الراء ، كلفا بالمعاصـى أى شغوفـا بها مصرا عليها
ربقة : قيـد ، عقدة
اللمـم : صغار الذنوب والمعاصى

الإجمالى

كثيرا ما شفت يده الشريفة ﷺ بمجرد اللمس مرضـى بالكفر وبغيره ، كما خلصت كثيرا من المصرين على المعاصـى والخطايا من ذنوبهم .

والتعبير بأطلقت هنا تعبير قوى فكأن هذه المعاصـى تأخذ بتلابيب هذا المخطئ وتأسره ، ولكن سيدنا رسـول الله ﷺ يطلقه من أسره وسجنه هذا .

وَأَحْيَتِ السَّـنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ
حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصُرِ الدُّهُمِ

معانى المفردات

أحيت : أخصبت
الشهباء : القليـلة المطر ، المجدبة ، سميت بذلك لغلبة بياض الأرض فيها على سوادها لعدم النبات

حكت : شابهت
غرة : بياض فى جبهة الفرس

الاعصر : جمع عصر
الأعصر : الأزمنة ، جمع عصر وهو الزمن
الدهم : السود من شدة الجدب ، مفردها أدهم وهو الاسود

الاجمالي

حولت دعوته الشريفة وما جاء به ﷺ من دين السنة المجدية الى أفضل ما يكون من نتاج وزروع تنضج شديدة الخضرة حتى كأنها لتبدو سوداء من شدة الخضرة ، وكأنها بذلك قد أحيت ميتا .

والامام رضى الله تعالى عنه هنا يشبه الناس وما أصابهم بالزروع التى ارتوت من دعوة الاسلام ، أو أن دعوة الاسلام قد بددت ظلام الجاهلية وحولته الى خير عميم ، وبدلت حياة الناس التى كانت عقيمة فاسدة الى أحسن ما يكون .

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتُ الْبِطَاحَ بِهَا
سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ

معاني المفردات

عارض جاد : العارض هو السحاب الممطر ، والمقصود سحاب كثير المطر
خلت : ظننت ، توهمت
البطاح : جمع أبطح ، وهو الوادى

المنبسط المتسع

سيب	: بفتح السين وسكون الياء ، جريان ، سيولة
اليم	: البحر ، والمقصود بسيب من اليم بحر يجرى ماؤه منسابا
سيل العرم	: العرم هو الشرس العنيف ، وقيل هو جمع عرمة (بفتح العين وكسر الراء) وهو السد وقيل هو السيل الذى لا يطاق دفعه ، والمقصود هنا هو الماء الوفير أو الخير العميم

الاجمالى

وهنا يكمل الامام معنى وسياق البيت السابق فيقول أن هذا التحول والتبديل والاحياء تم بواسطة الاسلام الذى هو كالسحاب الذى يحمل المطر والخير ، فكأن هذا الدين ماء غزير من البحر ينساب الى هذه البقاع ، أو هو ماء السيل الذى يكتسح كل ما أمامه .

الفصل السادس

فى شرف القرآن ومدحه

يتكون هذا الفصل من ١٧ بيتا تتضمن مدحا فى آيات القرآن الكريم التى ظهرت واضحة جلية يهتدى بها وإليها كتلك النار التى كان الكرام من العرب يوقدونها على رؤوس الجبال ليهتدى بها الضيوف اليهم فيقصدونهم طلبا للكرم (دعنى ووصفى آيات له ظهرت : ظهور نار القرى ليلا على علم) .

وإن كان الأمل ضعيفا فى مجرد أن يستطيع المديح أن يوفى هذا القرآن وهذه الآيات حقها من الوصف لما جاء بها من حسن الخلق والصفات (فما تطاول آمال المديح الى : ما فيه من كرم الأخلاق والشيم) والتى لا يمكن حصر عجائبها ولا يمل المردد لها أو سامعها من كثرة هذا الترديد (فما تعد ولا تحصى عجائبها : ولا تسام على الاكثار بالسأم) .

بل إن المردد لها وسامعها يسعد بها ويحظى بصلة وقرب من الله وطريق اليه تعالى وعليه الاستمساك به والاستمرار فيه (قرت بها عين قاريها فقلت له : لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم)

فإنك إن كنت تقرأها خوفا من نار جهنم فإنها تطفئ هـــذه النار وكأنها الماء العذب البارد (**إن تتلها خيفة من حر نار لظى : أطفأت حر لظى من وردها الشبم**) أو كأنها الحوض المورود في الجنة والذى يحول وجوه من جاءه من العصاة وقد احمرت من لفـــح النار الى وجوه ناصعة البياض (**كأنها الحوض تبيض الوجوه به : من العصاة وقد جاءوه كالحمم**).

وهذه الآيات كلمات حق من عند الله تعالى وأنها وإن تكن قد أنزلت حديثا فإن لها من القدم والسبق ما لله تعالـــى مبدعها ومنشئها فهى كلامه تعالى (**آيات حق من الرحمن محدثة : قديمة صفة الموصوف بالقدم**) وبالرغم من أنهـــا لـــم ترتبط بزمن معين إلا أنها تخبرنا عن يوم القيامة وهو من الأمور المستقبلية، وأيضا تتناول ما سبق من تاريخ وأمم مثـل عـــاد وارم (**لم تقترن بزمان وهى تخبرنا عن : عن المعاد وعن عاد وعن ارم**) وهى شديدة الدقة كاملة الصدق حتى أنه يحتكـــم إليها فى الأمور الخلافية فلا تدع مجالا للشك عند من يحـاول إثارة الخلاف أو البحث عن سبب لذلك، وهى لدقتهـــا لا تحتاج الى توضيح ولا لمن يقضى بصحتهـــا (**محكمات فما تبقين من شبه : لذى شقاق وما تبغين من حكم**) وهـــى كالصراط فى الاستقامة وكالميزان فى العدل وبدونها لم يكـــن العدل ليقوم أو يستمر بين الناس **وكالصراط وكالميزان معدلة :**

فالقسط من غيرها في الناس لم يقم) ولهذه الآيات الكريمة معان كثيرة كثرة موج البحر في العدد والقوة وأفضل منه في القيمة والجمال (لها معان كموج البحر في مدد : وفوق جوهره في الحسن والقيم) وهي كاللآلىء التي يزيد جمالها وهي منظومة - كناية عن قراءة القرآن الكريم مجملا - وإن كان عدم نظمها في عقد مثلا - أي قراءة هذه الآيات منفردة - لا يقلل من قيمتها وعظمتها (فالدر يزداد حسنا وهو منتظم : وليس ينقص قدرا غير منتظم).

ولهذا فإنه ما حارب هذه الآيات أحد أو ناضل ضدها إلا ورجع من هذه الحرب منهزما (ما حوربت قط الا عاد من حرب : أعدى الأعادي ملقى السلم) فإن فصاحتها ودقتها وجمالها صياغة وسياقا قد ردت من يحاول تقليدها كما يرد الرجل الغيور ذو الحمية من يحاول الاعتداء على مقدساته الشخصية (ردت بلاغتها دعوى معارضها : رد الغيور يد الجاني عن الحرم).

ومع ذلك فلا عجب من هذا الحاقد الذي أنكرها بالرغم من أنه يعرف قدرها جيدا (لا تعجبن لحسود راح ينكرها : تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم) فمثله في ذلك مثل العين التي قد تنكر ضوء الشمس الساطع لمرض فيها أو الفم الذي يغيب عنه طيب طعم الماء لمرض فيه هو وليس فسادا في هذا

الماء (قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد : وينكر الفم طعم الماء من سقم) .

وتبقى المعجزة الكبرى للقرآن الكريم وتظهر فى استمراره فينا نحن أمة محمد ﷺ أمة القرآن ، وهى بذلك تفوق كل معجزة أتى بها الرسل الكرام السابقون سلام الله عليهم والتى كانت تنتهى بنهاية عصرهم ، فمعجزة القرآن باقية مدى الدهر (دامت لدينا ففاقت كل معجزة : من النبيين إذ جاءت ولم تدم)

....

والآن الى تفاصيل هذا الفصل

....

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عَلَمِ

معانى المفردات

دعنى : اتركنى

آيات : معجزات

لـه	:	للقرآن الكريم
القرى	:	بكسر القاف ، إكرام الضيف
علم	:	جبـل

الاجمالى

سأصف آيات القرآن الكريم التى ظهرت للجميع كما تظهر النار التى اعتاد الكرام من العرب أن يوقدوها ليلا على قمم الجبال ليهتدى بها الضيف فيتوجه اليها فيقومون باكرامه .

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهْوَ مُنْتَظِمٌ
وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمِ

معانى المفردات

الدر	:	اللؤلؤ
منتظم	:	منظوما ، مجتمعا ، مرتبا

الاجمالى

يشبه الامام البوصيرى رضى الله عنه آيات القرآن الكريم باللؤلؤ الذى يزداد فى الجمال حينما يتجمع أو ينتظم فى شكل معين ، وإن كانت قيمته وقدره لا ينقص إذا ما كان منفردا كل واحدة منه على حدة .

فهذه آيات القرآن الكريم كل آية منها منفردة لها حسنها وبهاؤها ووقعها المؤثر الجميل ، وإن هى تجمعت زادها ذلك بهاءً وجمالا .

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ المَـدِيحِ إِلَى
مَافِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلَاقِ والشِّيَمِ

معانى المفردات

تطاول	: طلب الوصول الى شيء بعيد أو صعب المنال ، من تطاول الجمل إذا مد عنقه إلى أعلى ونظر الى بعيد
الشيم	: جمع شيمة ، وهى الطبيعة والغريزة

الاجمالى

هنا سؤال استنكارى بمعنى كيف يمتد بالمادح أمله الى أن يصف آى القرآن الكريم وما فيها من حكم رائعة وسلوكيات فاضلة وطبائع وأخلاقيات عظيمة لا نهاية لها ، فكيف يحاول مادح أن يعدها ويستقصيها .

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ

معانى المفردات

محدثة	: أنزلها الله تعالى ، أو هى

		حديثة النزول على النبى ﷺ
قديمة	:	قديمة المعانى ، ثابتتها ، لأنها من كلام الله سبحانه وتعالى الموصوف بالقدم
حق	:	تنطق بالحق
من	:	المقصود من عند
الموصوف بالقدم	:	هو الله عز وجل

الإجمال

يريد أن آى القرآن الكريم صادرة من المولى عز وجل عن صفة قديمة من صفات الله تعالى القديم ، وهى الكلام الذى لا يشبه كلام المخلوقين .

وهى وإن كانت حديثة النزول على نبينا المصطفى ﷺ إلا أنها قديمة قدم من هى كلامه تعالى .

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْىَ تُخْبِرُنَا
عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

معانى المفردات

الاقتران	:	المصاحبة والمزامنة
لم تقترن بزمان	:	لم ترتبط بزمن معين لأنهـا

قديمة أزلية ، والزمان حادث
ولو اقترن القديم بالحادث
لكان حادثا مثله

عن المعاد	:	من العودة ، أي رجوع الناس الى الله تعالى يوم القيامة
عاد	:	قوم ارسل اليهم النبي هود عليه السلام
ارم	:	مدينة قديمة عظيمة لقوم عاد

الاجمالى

هذه الآيات لم ترتبط بزمن معين ، وتحدثنا عن يوم القيامة ، والحياة الآخرة ، وتتضمن فى ثناياها أخبار الامم السابقة مثل عاد قوم هود عليه السلام .

وعاد قبيلة منسوبة الى عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام .

عاش عاد الف ومائتى سنة ، وتزوج الف امرأة ، وأعقب اربعة آلاف ولد من صلبه ... ومات كافرا يعبد القمر .

وتخبرنا الآيات أيضا عن ارم وهى مدينة عظيمة بناها شداد بن عاد فى ثلاثمائة سنة ، وجعل قصورها من الذهب والفضة ، وأعمدتها من الزبرجد والياقوت ، وجعل فيها أنهارا جارية ، وأشجارا عظيمة جميلة ، وذلك لأنه سمع بالجنة وما فيها فأراد أن يكون له مثلها ، وعند تمامها رحل بأهل مملكته إليها فلما كان بالقرب منها على مسيرة يوم وليلة أرسل الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا قبل وصولهم اليها .

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

معانى المفردات

دامت	:	بقيت
فاقت	:	بزت ، فوت
فاقت	:	بزت ، غلبت
المعجزة	:	هى الشئ الخارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، من الاعجاز لأنها تعجز الخصم
لم تدم	:	لم تبق

الاجمالى

إن هذه الآيات ، وهى المعجزة التى جاء بها سيدنا محمد ﷺ باقية فينا نحن معشر المسلمين ، وباقية على مر الزمان ، وهى بذلك تفوق معجزات من جاء قبله ﷺ من النبيين الكرام سلام الله عليهم والتى انتهت بنهاية عصورهم .

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِى شِقَاقٍ وَمَا يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

معانى المفردات

محكمات : بفتح الحاء وتشديد الكاف ،

يحتكم اليها فى المنازعات ، أو
حكيمة من الحكمة ، متقنات

تبقين : تتركن
شبه : جمع شبهة ،وهى ما يظن أنه دليل وهو غير ذلك ،التلبيس
ذى : صاحب
شقاق : خلاف
تبغين : تطلبن ، تحتاج الى
الحكم : حاكم ، قاض

الاجمالى

هذه الآيات منبع للتشريع والأحكام ، راسخة ، ذات حكمه لا تقبل التغيير أو التبديل ، ولا تترك مجالا لصاحب شبهة أو بدعة ، ولا تحتاج لمن يحكم بصحتها من عدمه .

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

معانى المفردات

حوربت : عورضت ، قومت
قط : فى الزمن الماضى
عاد : رجع
حرب : بفتح الحاء والراء ، فى أصل اللغة سلب المال ،والمراد هنا الشدة

أعدى
الاعادى : أشدهم حرصا على المعاداة ، فأعادى جمع أعداء ، وأعداء جمع عدو
السلم : السلاح ، الاستسلام ، الانقياد
ملقى السلم : مستسلما

الإجمالى

ما قاومها أو تحداها أحد أو عارضها هى أو من جاء بها ﷺ الا وانتهت هذه المعارضة التى شبهها بالحرب باستسلام هذا المعاند وهزيمته أمامها والتسليم بأنها الحق ، فيكف عن المعارضة ، أو يدخل فى الاسلام .

رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِى عَنِ الْحُرُمِ

معانى المفردات

ردت : صرفت ، أرجعت
البلاغة : مطابقة الكلام لمقتضى الحال (للظروف) مع فصاحته
معارضتها : محاولة الإتيان بمثلها ، تقليدها
الغيور : شديد الغيرة على النساء
الجانى : من الجناية وهى فعل المكروه

الحرم : بضم الحاء والراء ، هو مما يحميه الرجل ويقاتل دونه (من أجله) ، جمع حريم ، وهو أهل الرجل أى زوجته وأولاده

الاجمالى

هزمت دقة وفصاحة هذه الآيات معارضها الذى يحاول أن يأتى بمثلها كما يرد الرجل ذو الحمية والغيرة عن أهله كل من يحاول الاعتداء عليهم .

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ

معانى المفردات

معان : جمع معنى ، وهو ما يراد باللفظ
المد : من البحر أو الموج ارتفاعه وامتداده الى البر

الاجمالى

لهذه الآيات معان كثيرة قوية كموج البحر فى التتابع والكثرة وإن كانت هذه المعانى أفضل فى الشكل والقيمة من تلك اللآلئ والجواهر المستخرجة منه .

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

معانى المفردات

العجائب : جمع عجيبة ، وهى الشئ الذى قل نضيره أو انعدم
لا تسام : لا تقابل ، لا توصف
السأم : الملل

الاجمالى

ولا يمكن لأحد أن يحصى ما تضمنته آى القرآن الكريم من عجائب وأسرار ، كما أنه لا يمل انسان من كثرة قراءتها وترديدها ولا يوليها السامع الضجر والملالة .

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

معانى المفردات

قرت : شعرت بالسرور ، سكنت
قاريها : قارئها ، وقد تغسر على قاصدها أى من تليت له أو عليه
حبل الله : ما يوصل الى الله ، وهو هنا القرآن الكريم
فاعتصم : فاحتم به ، فتمسك به

الاجمالي

سياق البيت هنا متصل مباشرة بالبيت السابق الذى به أن الانسان لا يمل من ترديد آى القرآن الكريم أو سماعها بل على العكس من ذلك فإنه يجب أن تغمره السعادة .

فلفظة قرت العين هى تعبير عن السعادة ، أى سعد بها وانشرح صدر من يتلوها ومن تتلى عليه ، فليفرح بأنه قد حظى بما يوصله الى الله وليتمسك بها .

انْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى
أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

معانى المفردات

تتلها	:	تقرأها
خيفة	:	خوفا ، أو خائفا
لظى	:	اسم لجهنم
وردها الشبم	:	موردها البارد العذب

الاجمالي

شبه الآيات بالماء العذب البارد لأنها سبب حياة الأرواح كما أن الماء هو سبب حياة الاشباح .

وأن من يتلو آيات القرآن الكريم خوفا من نار جهنم فإنها ستطفئ هذه النار على شدتها وكأنها ماء من مصدر بارد كريم .

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ
مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَالْحُمَمِ

معانى المفردات

كأنها الحوض : كأن الآيات ماء الحوض ، والحوض هو الكوثر (نهر في الجنة)

العصاة : جمع عاص ، ضد المطيع

الحمم : بضم الحاء ، جمع حممة وهى الفحم وكل ما احترق من النار

الاجمالى

إن هذه الآيات سوف تتشفع فى من يتلوها فيصير وجهه أبيض وضاءً بعد أن كان أسود من المعاصى فهى فى ذلك كماء نهر الكوثر فى الجنة والذى تبيض به وجوه العصاة بعد خروجهم من النار وهى محترقة كالفحم ، إذ يتوب الله عليهم ويدخلهم الجنة .

فكأن هذه الآيات ماء الحوض المورود الذى وعد به الله عبادة فحولت سواد وجوههم ، كناية عن ارتكاب المعاصى ، الى البياض ، كناية عن غفران الذنوب والقبول من المولى عز وجل .

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ

الصراط	:	الجسر الممدود على متن (فوق) جهنم
الميزان	:	ما يوزن به أعمال المكلفين من الناس
معدلة	:	استواء ، استقامة
القسط	:	العدل
يقم	:	يدوم

الإجمال

آيات القرآن الكريم كالصراط فى الاستقامة ، وكالميزان فى العدل الذى بدونها لم يكن ليقوم أو يدوم بين الناس .

لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ

العجب	:	الاستعظام ، الاستغراب
الحسود	:	من يتمنى زوال النعمة عن غيره

		سواء استفاد من ذلك أم لا
راح	:	معناها في اللغة سار بالمشى ثم استعملت في الذهاب ، والمراد أخذ ينكر
ينكرها	:	يجحدها
عين	:	هو الشئ نفسه ، أو هو الأصل
الحاذق	.	الماهر ، والمقصود بعين الحاذق هو أنه الماهر حقيقة
الفهم	:	بفتح الفاء وكسر الهاء ، هو كثير الفهم

الاجمالي

وبعد كل هذا فمن العجب أن نجد من يجحد هذه الآيات وهى ثابتة واضحة ، ويتظاهر بنكرانها وكأنه جاهل بالرغم من أنه متفهم لها تماما واعيا لما فيها ، ولكن العجب يزول إذا ما علمنا أنه يفعل ذلك لأنه حاسد حاقد .

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

معانى المفردات

الرمد : داء يصيب العين
السقم : بفتح السين ، المرض

الاجمالى

معنى هذا البيت متصل مباشرة بمعنى البيت السابق فإن ذلك النكران قد أتى من مرض فى نفس هذا المنكر ، كما يحدث للعين المصابة بالمرض ، فهى تنكر الشمس وهى شئ لا يمكن إنكاره ، وأيضا فإن الفم المريض فقد ينكر عذوبة الماء ، وليس العيب فى الشمس ولا فى الماء ، بل هو فى ذلك العضو المريض .

الفصل السابع

فى إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم

يتكون هذا الفصل من ١٣ بيتا ، ويتكلم فيه الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه عن الاسراء والمعراج .

ويبدأ الفصل بمديح لسيدنا رسول الله ﷺ ووصفه بأنه خير من قصده طلاب الحاجات (العافون) من فقراء وسطاء وذوى حيثية وموسرين ، وقد كنى الامام عن الموسرين بمن هم " فوق متون الأينق الرسم " والأينق الرسم هى النوق (جمع ناقة) الجيدة القوية التى تترك أثرا على الأرض من شدة الوطء عليها .. وهى عادة ما تكون عند ذوى اليسار (الأغنياء) لارتفاع ثمنها ، ثم هم علية القوم عادة من يسعون فوق ظهور الابل ، أما هؤلاء المتواضعين أو الفقراء فإنهم عادة ما يمشون على أقدامهم " سعيا " (يا خير من يمم العافون ساحته : سعيا وفوق متون الأينق الرسم) .

وهو ﷺ خير مثال يحتذى لمن أراد أن يكون كاملا فى

خلق ودين ، في دنيا وفي آخرة ، ولديه ﷺ الخير العظيم فمن أراد فليغتنم الفرصة (**ومن هو الآية الكبرى لمعتبر : ومن هو النعمة العظمى لمغتنم**) .

ثم يخلص الامام رضي الله تعالى عنه من هذا المديح المباشر لسيدنا المصطفى ﷺ الى الكلام عن معجزة الاسراء والمعراج ، فيقول موجها مديحه الى سيدنا المصطفى ﷺ انتقلت ليلا (سريت) من المسجد الحرام (الكعبة المشرفة) بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى (بيت المقدس) بالقدس .. ناشرا الضياء ونور الحق كما يسير القمر ناشرا الضياء في الظلمة الشديدة (**سريت من حرم ليلا الى حرم : كما سرى البدر في داج من الظلم**) وأنك يا سيدى يا رسول الله عليك صلوات الله تعالى وسلامه قد أخذت في الصعود الى السماوات العليا حتى أصبحت في منزلة أقرب ما تكون من الله تعالى وهي منزلة لم ينلها أو يطمع فيها أحد (**وبت ترقى الى أن نلت منزلة : من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم**) وأن جميع الأنبياء والرسل عليهم سلام الله تعالى قد قدموك عليهم في خشوع واجلال (**وقدمتك جميع الانبياء بها : والرسل تقديم مخدوم على خدم**) وذلك في موكب تخترق فيه السماوات السبع وأنت تتقدمهم ومكانك منهم صاحب الراية والقائد الذى يتقدم الصفوف (**وأنت تخترق السبع الطباق بهم : في موكب كنت**

فيه صاحب العلم) واستمر هذا الموكب فى الصعود حتى كانت منزلة من الاقتراب من العرش الالهى لا ينبغى لأحد سواك أن يتعداها ، حتى من يريد السبق والتقدم والارتفاع
(حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق : من الدنو ولا مرقى لمستنم)

وعند ذلك وضح أن مقامك يا سيدى يا رسول الله صلوات الله عليك وسلامه قد فاق مقام جميع من سبقك من الأنبياء والرسل عليهم جميعا سلام الله تعالى (خفضت كل مقام بالاضافة اذ : نوديت بالرفع مثل المفرد العلم) وتركوك لتتقدم حتى يتم لك الوصول الى ما هو خفى عن الناس وكل ما هو محفوظ مصان من الأسرار (كيما تفوز بوصل أى مستتر : عن العيون وسر أى مكتتم) وبذلك نلت يا سيدى يا رسول الله صلى الله تعالى عليك وسلم كل فخر وعزة لا يشاركك فيها أحد وتفوقت على منازل الآخرين الى منزلة لا يزاحمك فيها أحد (فحزت كل فخار غير مشترك : وجزت كل مقام غير مزدحم) ونلت يا سيدى يا رسول الله عظيم الرتب حتى أصبح من الصعب معرفة مقدار ما وهبك الله تعالى من فضل وخير (وجل مقدار ما وليت من رتب : وعز ادراك ما أوليت من نعم) .

وإذا ما كانت هذه منزلة سيدنا محمد ﷺ فإن لنا نحن الأمة المحمدية كل الأمل فى أن ننتظر من الله تعالى الخير والعناية الدائمة (بشرى لنا معشر الاسلام أن لنا :

من العناية ركنا غير منهدم) .. فما دام الله تعالى قد وصف وسمى رسوله إلينا ليهدينا (داعينا لطاعته) سيدنا محمد ﷺ بأكرم الرسل فإننا ونحن تابعون له ﷺ نعد أكرم الأمم .. فالأمم على شاكلة مرسليها والتابع ولا شك يشرف بشرف وتشريف المتبوع (لما دعا الله داعينا لطاعته : بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم) .

....

والآن الى تفاصيل هذا الفصل

....

يَاخَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْيًا وفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

بيان المفردات

يمم : قصد
العافون : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ، والمحتاج
الساحة : الناحية
السعى : المشى السريع على القدم
متون : جمع متن ، وهو ظهر الدابة

الأينق : جمع ناقة

الرسم : بضم الراء المشددة والسين ، جمع رسوم بفتح الراء وضم السين ، وهى التى تؤثر أخفافها فى الأرض من شدة الوطء عليها عند المشى

الإجمالى

يمدح الإمام البوصيرى رضى الله تعالى عنه سيدنا رسول الله ﷺ بأنه خير من قصده طالبوا المعروف مشاة على الأرجل وأيضا فوق النوق الجيدة ، وهى لا تكون عادة إلا عند الأغنياء ، وذلك كناية عن أن جوده ﷺ قد شمل الجميع ، فقراء وموسرين .

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

معانى المفردات

معتبر : طالب العبرة ، أى طالب القدوة ، متأمل ، مفكر

النعمة : الخير ، رغد العيش

مغتنم : منتهز الفرصة ، أو طالب الغنم أى طالب خير الدنيا

الاجمالي

إن سيدنا رسول الله ﷺ هو خير مثال يحتذى (يتبع) إذا كان الانسان من طالبى القدوة ليصل الى الله تعالى ، كما أنه ﷺ لديه الخير العميم لمن أراد فليغتنم هذه الفرصة فهو ﷺ أكبر نعمة إذا ما كان الانسان يرجو خير الدنيا والآخرة .

وهذا البيت وما قبله سياق واحد ، فهما موجهان اليه ﷺ بمعنى ياخير ..الخ .. ويامن هو .. الخ .

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ
كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

معانى المفردات

سريت	: الاسراء هو السير ليلا ، أى سرت ليلا
الحرم	: المكان الطاهر المقدس ، والحرم الأول هنا هو الكعبة الشريفة ، والثانى هو المسجد الاقصى
البدر	: القمر عند كماله
داجى	: شديد الظلمة

الاجمالي

انتقلت يا سيدى يا رسول الله عليك صلوات والله تعالى وسلامه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كما يمشى القمر المنير ليلا فى الظلمة الشديدة فيحولها إلى نور وبهجة

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ

ترقى : تصعد
من قاب
قوسين : صار أقرب ما يكون
لم تدرك ولم
ترم : لم ينلها ولم يطلبها أحد الانبياء لعزتها وفاز بها رسول الله وحده .

الاجمالي

فى هذا البيت تصوير وبيان للمنزلة العظيمة التى نالها سيدنا رسول الله ﷺ ليلة الاسراء والمعراج حيث أخذ يصعد فى السماء حتى صار أقرب ما يكون من الحضرة العلية كما يقول القرآن الكريم ... " .. فكان قاب قوسين .. " والأصل فى هذا المصطلح اللغوى أن القاب هو طرف القوس وهو ما بين مقبض القوس ومدخل الوتر ، وكل قوس له قابان أى طرفان ، فإذا شددنا الوتر لإطلاق السهم اقترب القابان (طرفا القوس) اقترابا شديدا ، وفى عبارة " قاب قوسين " قلب للأصل الذى هو " من قابى قوس " أى طرفى القوس كما أوضحنا .

وفى البيت أيضا تعبير دقيق فى قول الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه " لم تدرك ولم ترم " فهذه المنزلة التى نالها

سيدنا محمد ﷺ ليست فقط مقصورة عليه ولم ينلها من قبل غيره ﷺ بل انها أصلا لرفعتها لم يفكر أحد في نوالها والوصول اليها .

أى أنك يا سيدى يا رسول الله عليك صلوات الله تعالى وسلامه قد أخذت تصعد في السماء حتى بلغت مكانة ومنزلة هى غاية القرب من الحضرة العلية وهى منزلة لم ينلها أو حتى يطمع أحد فى الوصول اليها .

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خدم

مَعَانِي المُفْرَدَات

التقديم : ضد التأخير ، أى تقدمت .

الاجمالي

وقدمتك جميع الانبياء يا سيدى يا رسول الله ﷺ عليها فى المنزلة هذه التى نلتها فكنت منهم كما يكون السيد بالنسبة لخدمه .

وسياق البيت هنا متصل مباشرة بالبيت السابق .

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

معاني المفردات

اخترق الطريق: قطعه
السبع الطباق: السموات السبع، فالطباق جمع طبق أو طبقة، أى بعضها فوق بعض وحقائقها مختلفة
موكب : جماعة.
العلم : الراية
صاحب العلم: المراد كبير القوم المقدم عليهم

الاجمالي

وهنا يستمر ترابط المعاني والأبيات .

فقد قدمتك جميع الأنبياء عليهم في موكب تجتازون به السماوات السبع واحدة بعد أخرى، وقد عقدت لك ﷺ فيه القيادة .

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ
مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

معاني المفردات

شأوا : غاية

المستبق : المسابق ، المبارى
الدنو : القرب
مرقى : مصدر ميمى من الرقى ، أو موضع الرقى
مستنم : مستعل ، أى طالب الرفعة ، مأخوذ من صعود الانسان سنام الجمل

الاجمال

واستمر هذا الصعود حتى لم تبق هناك غاية فى التقدم يتطلع اليها أحد أو يتقدم اليها طالب رفعة .

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

معانى المفردات

خفضت : أنزلت درجات
مقام : منزلة ، رتبة
النداء : طلب الاقبال
المفرد العلم: المتوحد ، غير المتكرر فى قومه المشهور

الاجمال

هذه المنزلة التى تتوقف عندها كل الآمال والتطلعات

وتنالها أنت ياسيدى يا رسول الله عليك صلاة الله وسلامه تظهر مقامك العالى على كل من سبقك من الانبياء وتبدو من ذلك منازلهم ومقاماتهم منخفضة بالنسبة الى مقامك وموقعك من قبل الله تعالى الذى رفعك الى أعلى مقامات القرب مثلما يصحب الرفع فى الاعراب المنادى إذا كان مفردا علما (اسم علم) ، ففى النحو يبنى المفرد العلم على الرفع إذا نودى فنقول .. يا محمدُ ... يا مريمُ ..

والتعبير أيضا بالمفرد العلم وإن كان تعبيرا لغويا الا أنه أيضا اظهار لمكانة المصطفى ﷺ بتوحده وتفرده فى المقام والمنزلة .

وهنا نقول أنه يجب الوثوق بأن جميع الأنبياء عليهم السلام متصفون بالكمال والرفعة ، ولكن المصطفى ﷺ هو أكمل وأكثر رفعة ، فمقام غيره من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام منخفض بالنسبة لمقامه هو بالذات .

ويلاحظ هنا أن الامام البوصيرى استخدم مصطلحات لغوية صعبة مثل الرفع ، الاضافة ، النداء ، المفرد العلم ، ليزيد بها مما قصد اليه من معان وليزين بها كلامه فى أسلوب مستساغ ، لا يستطيعه الا متمكن من اللغة ضليع فيها .

كيما تفوز بوصل أي مستتر
عن العيون وسر أي مكتتم

معاني المفردات

تفوز : تحظى ، تظفر
بوصل : بقرب
مستتر : محجوب ،غير مرئي
مكتتم : كامل التخفي

الاجمالي

واستمر هذا الصعود والارتفاع لك يا سيدي يا رسول الله عليك الصلاة والسلام حتى تحظى بأقصى اقتراب من الله تعالى وتطلع على كل ما هو كامل في الاستتار ، وأن تحظى بمعرفة كل ما هو خاف من الاسرار ، كما تحظى بعظيم النعم التي سوف تظل غير معروفة .

فحزت كل فخار غير مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم

معاني المفردات

حزت : حصلت ، جمعت
فخار : ما يفتخر به من الفضل
غير مشترك : لا يشاركك فيه أحد
غير مزدحم : لا يزاحمك عليه مزاحم

الاجمالي

وبذلك تكون يا سيدى يا رسول الله قد نلت وحصلت على منزلة لم ينلها أو يشترك فيها معك أحد ، وتفوقت في المقام الى المكانة التى لا يزاحمك فيها مزاحم .

وَجَلَّ مِقْدارُ ماوُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمٍ

معاني المفردات

جـل	:	عظم
وليت	:	قلدت ، أى ما ولاك الله تعالى
رتب	:	جمع رتبة أى درجة
عـز	:	امتنع وعسر حصوله
ادراك	:	فهم ومعرفة
اوليت	:	أعطيت ، منحت
نعم	:	بكسر النون وفتح العين ، عطايا ومنن

الاجمالي

عظمت المنزلة التى منحتها وأصبح من الصعب معرفة ما أنزلك الله تعالى من مكانة وما منحك من درجة ومنزلة ، كما أصبح من الصعب معرفة وادراك ما منحك الله تعالى من خير وعطايا .

بُشرى لَنا مَعشَرَ الإسلامِ إنَّ لَنا
مِنَ العِنايَةِ رُكناً غَيرَ مُنهَدِمِ

معاني المفردات

بشرى : اسم البشارة ، يراد به الخبر السار
معشر الاسلام : المسلمون
عناية : رعاية واهتمام
ركن الشيء : ما يعتمد عليه
غير متهدم : قائم أبدا ، مستمر

الاجمالي

وهنا يترك الامام مدح سيدنا رسول الله ﷺ ليحمل البشارة للأمة الاسلامية عامة بأن الله تعالى يوليهم عنابة ورعاية دائمة .

لَمّا دَعا اللهُ داعِينا لِطاعَتِهِ
بِأكرَمِ الرُسلِ كُنّا أكرَمَ الأُمَمِ

معاني المفردات

دعا : سمى ، من التسمية
داعينا : سيدنا محمد ﷺ

الاجمالى

وهنا يقيم الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه الدليل على ما قاله فى البيت السابق من عناية الله تعالى الدائمة بالأمة الاسلامية فيقول أنه تعالى عندما سمى نبينا المصطفى ﷺ بأكرم الرسل كنا نحن أمته ﷺ أكرم الأمم ، ذلك لأن التابع يشرف بشرف المتبوع ، وقد قال الله تعالى فى محكم التنزيل .. " كنتم خير أمة أخرجت للناس .. "

الفصل الثامن

فى جهاد النبى صلى الله عليه وسلم

يتضمن هذا الفصل ٢٢ بيتا تتناول جهاد سيدنا رسول الله ﷺ فى سبيل نشر دعوة الحق الاسلامية ووصف لجيوش المسلمين ومعاركها . وما آل اليه حال الكفار فى هذه المعارك .

وفى هذا الفصل صور رائعة لجميع الأطراف التى تناولها الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه .

فعن مولانا المصطفى ﷺ يقول الامام أنه ﷺ قد ضم أمته اليه فى حصن الاسلام . وهو ﷺ بالنسبة للمسلمين كالأسد الذى يحمى أبناءه وهم ينزلون معه فى الغابات وبين الوحوش الكاسرة وهم بعد صغار ضعفاء ولكن أحدا لا يستطيع التعرض لهم فهم فى حماية الأسد القوى

(أحل أمته فى حرز ملته : كالليث حل مع الأشبال فى أجم)

وبذلك فإن كل من ينتصر بسيدنا رسول الله ﷺ بمهابته

الجميع ، حتى الأسد إن هى صادفته فى الغابات موضع مكان سطوتها وسلطانها فإنها تخشاه (ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم) وإنك لن تجد لائذا برسول الله ملتجئا إليه ﷺ فى موقع هزيمة أبدا ، كما أنك لن تجد عدوا له ﷺ إلا وهو منهزم منكسر مخزول (ولن ترى من ولى غير منتصر : به ولا من عدو غير منقصم) فهذه آيات القرآن الكريم تنصره وتؤيده ﷺ بالدليل القاطع الذى يهزم كل معاند مناقش له ومعترض عليه ﷺ (كم جدلت كلمات الله من جدل : فيه وكم خصم البرهان من خصم)

ويكفى للتدليل على أن سيدنا محمد ﷺ هو فى ذاته معجزة منفردة أنه وهو ﷺ الأمى الذى لم يتلق العلم عن أحد ومع ذلك فهو ﷺ أعلم الناس وبذلك تفوق على عصره الذى سادته الجهالة ، وهو ﷺ الكامل الأدب بالرغم من يتمه ﷺ وعدم وجود من يعلمه ويؤدبه (كفاك بالعلم فى الأمى معجزة : فى الجاهلية والتأديب فى اليتم) .

هذا عن سيدنا رسول الله ﷺ أما عن أعدائه فقد أفزعتهم أنباء بعثته ﷺ فأحدثت فيهم من الاضطراب والتشتت ما تحدثه صيحة شديدة عالية ومدوية فى مجموعة من

الحيوانات المسترخية المهملة قليلة الشأن (راعت قلوب العدا أنباء بعثته : كنبأة أجفلت غفلا من الغنم) كما أن قلوب الأعداء كادت أن تنخلع من مكانها وتطير فزعا ورعبا من شدة وقوة جنود رسول الله ﷺ حتى فقدوا السيطرة على أنفسهم وأمورهم وعمتهم الفوضى حتى أصبح من العسير أن تفرق بين الشجاع منهم الذى يجرى للقتال وبين الذى يجرى منهم فى فزع واضطراب كالحيوان المفزّع (طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا : فما تفرق بين البهم والبهم) ثم هذا رسول الله ﷺ يلقى هؤلاء الكفار فى كل مجال ويحاربهم فى كل مكان وتنالهم منه ﷺ الهزيمة والقتل حتى أصبحوا وقد مزقتهم الرماح وكأنهم لحم جرى تقطيعه على خشبة القصاب ومعد للاستعمال ، فهم ممزقون معدون لأن تلتهمهم الجوارح (ما زال يلقاهم فى كل معترك : حتى حكوا بالقنا لحما على وضم) وهم فى هذه الحال لا يستطيعون فرارا من ساحة القتال رغم رغبتهم الشديدة فى ذلك فهذه الساحة قد تحولت بالنسبة لهم إلى ما يشبه مكان تقطيع اللحم فهم يتمنون أن يصبحوا مثل قطع اللحم الممزقة من أشلاء قتلاهم والتى تذهب بها الطيور الجارحة التى تهبط ساحة المعركة لتأكل ما تأكل وتأخذ معها ما شاءت فيخرجوا من هذا المكان (ودوا الفرار فكادوا يغبطون به : أشلاء شالت مع

العقبان والرخم)

وفى البيتين السابقين تصوير رائع لحال الكفار فى المعركة ، فهذه ساحة القتال وكأنها مجرد مكان مخصص ليقوم فيه أبطال المسلمين بتقطيع لحم الأعداء الذين تتخطف الجوارح أشلاءهم بعد قتلهم وتمزيق الرماح للحمهم أما من لم يقتل منهم فإنه يتمنى أن يحدث له مثل ما يحدث لهذه الأشلاء الممزقة التى تتخطفها الجوارح فتحملها الى خارج مجال المعارك فعار الفرار - وهو كبير وقاس عند العرب - أيسر وأبسط مما ينتظرهم من أهوال على أيدى المسلمين .

وتستكمل الصورة لحال هؤلاء الكفار حينما نجد أن أيامهم تمضى فى شدة وبؤس واضطراب مستمر حتى أنهم لا يعرفون فى أى يوم هم ، فأيامهم كلها شدة ومعارك أزهلتهم عن تمييزها .. اللهم إلا إذا كانت من أيام الأشهر الحرم التى يمتنع فيها القتال فالكفار يعرفون أنها قد حلت (حانت) لأن المسلمين يتوقفون فيها عن القتال

(تمضى الليالى ولا يدرون عدتها : ما لم تكن من ليالى الأشهر الحرم) .

وإذا كان هذا هو حال الكفار أعداء رسول الله ﷺ

فكيف حال أصحابه عليهم رضوان الله تعالى ورحمته .

هم الجبال ويشهد على ذلك كل من دخل فى صدام معهم أو قتال وما لاقاه على أيديهم أينما لاقوه (هم الجبال فسل عنهم مصادمهم : ماذا رأى منهم فى كل مصطدم)
وخير دليل على ذلك المواقع الخطيرة التى خاضوها وكانت وبالا وخرابا وهلاكا على الكفار ومن ذلك المواقع التى ذكرت فى البيت (وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا : فصول حتف أدهى من الوخم) .

ثم هولاء الأبطال هم الكاتبون صفحات النصر برماحهم ، الذين ما تركت رماحهم جزءا من جسد لكافر إلا وقد اخترقته (والكاتبين بسمر الخط ما تركت : أقلامهم حرف جسم غير منعجم) ، وهم الذين صارت سيوفهم اللامعة الناصعة حمراء اللون مصبوغة بدماء الأعداء من كثرة ما أصابت منهم من رقاب فى مكان اتصالها بالرأس أى قطع هذه الرؤوس (المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت : من العدا كل مسود من اللمم) وهم فى ذلك الشجعان الذين دخل بهم الاسلام ساحة الكفار وبلادهم وكل منهم شجاع يتمنى قتل الأعداء وتمزيقهم (كأنما الدين ضيف حل ساحتهم : بكل قرم الى لحم العدا قرم) وقد

دخـل الاسلام ديار هؤلاء الكفار ببحر من الجند راكـبى الجياد السريعة المتقدمة وكأنها لفرط (لشدة) سرعتهـا وقوتها تسبح وليست تسير على الأرض ، ويتقدمون فـى دفعات فى قوة وشدة وكأنهم الموج المتلاطم (يجر بحر خميس فوق سابحة : يرمى بموج من الأبطال ملتطم) وهـم قائمون فوق ظهور الخيل وكأنهم من شدة الثبات زروع نبتـت فى موقعها هذا ، وهذا الثبات من كثرة الشجاعة وليس مـن قوة الرباط فوق هذه الخيل (كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربا : من شدة الحزم لا من شدة الحزم) ، وهم مستعـدون بأسلحتهم دائما ، متميزون على غيرهم الذين وإن ماثلوهـم فى الشكل إلا أن هؤلاء الأبطال أفضل فى المضمون ويمكـن معرفتهم وتمييزهم بصفاتهم عمن سواهم (شاكى السلاح لهم سيما تميزهم : والورد يمتاز بالسيما عن السلم) وتحمـل الرياح أخبار انتصاراتهم وكأنها الرائحة الطيبة ، وكأن كـل شجاع منهم زهرة طيبة الرائحة فى خبائها (تهدى اليك رياح النصر نشرهم : فتحسب الزهر فى الأكمام كل كمى).

وهذا الجيش العظيم للمسلمين مكون من أبطال متطوعين للقتال لا يرجون إلا وجه الله تعالى ولا ينتظرون إلا إحدى الحسنيين اللتين وعدهم الرحمن جل وعلا ، فإن هم انتصروا كان لهم فضل النصر وشرفه .. وإلا فشهادة يخلدون بهـا

فى نعيم الله تعالى الى الأبد ، فالواحد منهم يصول ويجول بسيفه القاطع الحاد مجتثا الكفر وأهله (من كل منتدب لله محتسب : يسطو بمستأصل للكفر مصطلم) .

وبهؤلاء الأبطال أصبحت الدعوة الاسلامية ودين الحق بين أهل وعشيرة بعد أن كانت غريبة (حتى غدت ملة الاسلام وهى بهم : من بعد غربتها موصولة الرحم) وأصبح الاسلام مصانا بهم وموضع رعايتهم وحمايتهم ، وأصبح آمنا من أن يصيبه ما يصيب الأولاد الذين مات عنهم أبوهم أو المرأة التى مات زوجها من ذل وهوان .. فكل هؤلاء بالنسبة للاسلام والدعوة الاسلامية كخير أب وخير رجل لأهله (مكفولة أبدا منهم بخير أب : وخير بعل فلم تيتم ولم تئم) .

....

والآن الى تفاصيل هذا الفصل

....

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ

معاني المفردات

راعت : أفزعت
العدا : جمع عدو
نبأة : أصلها زأرة الاسد ، صرخة ، صوت مرتفع
أجفلت : شردت من الفزع
غفلا : مهملة ، بليدة ، غافلة ، لاهية لا تحس الخطر

الاجمالي

كان وقع أنباء البعثة النبوية المباركة على الكفار مفزعا وكأنهم مجموعة من الغنم الضالة البليدة أفزعتها صيحة عالية مدوية فشردتها وأحدثت بينها الاضطراب والفوضى .

مَازَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

معاني المفردات

معترك : ميدان قتال

حكسوا : شابهوا
القنا : الرماح ، جمع قناة وهى الرمح
الوضم : قطعة الخشب التى يعد عليها القصاب (الجزار) اللحم للاستعمال (بالعامية أورمة)

الاجمالى

هذا البيت والبيتين التاليين فيها تصوير لحال الكفار فى القتال .

فإن النبى ﷺ مازال يحاربهم فى كل مجال ومكان حتى صاروا كاللحم الممزق المقطع على الخشبة التى لدى القصاب (الجزار) والتى يعد عليها اللحم للاستعمال ، أى أنهم صاروا ممزقين معدين لأن تلتهمهم الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة .
وفى البيت استدراك جميل فى كلمة بالقنا ، وهى تأكيد على أن ما فيه الأعداء هو من فعل الرماح وليس لسبب آخر قد يظن .

وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغبِطُونَ بِهِ
أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

معانى المفردات

ودوا : تمنوا
الفرار : الهرب

يكاد	:	يقارب
الغبطة	:	أن تتمنى مثل حال غيرك دون أن ترجو زوال هذا الحال عنه ،وهو بخلاف الحسد فإنه تمنى زوال نعمة المحسود وانتقالها الى الحاسد
أشلاء	:	جمع شلو ، بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من الجثة
شالت	:	ارتفعت
العقبان	:	جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح
الرخم	:	جمع رخمة ، وهو طائر أبقع يشبه النسر يقع على الجثث الميتة ليأكلها

الاجمالى

وهؤلاء الكفار تمنوا الهرب من المعارك - رغم أن ذلك من أقبح الخصال وأخسها عند العرب - وذلك لهول ما لاقوه . وتمنوا أن يحدث لهم مثل ما حدث لأشلاء جثث القتلى حين وقع عليها العقبان والرخم فأكلت ما أكلت ،ثم ارتفعت طائرة بما شاءت من الباقى . تمنوا أن يحدث لهم ذلك حتى يخلصوا مما هم فيه .

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

معاني المفردات

تمضى : تمر
الليالى : جمع ليلة ، والمراد الليالى والأيام وخص الليالى لأن الليل أشد في المعاناة والاحساس بالهموم
عدتها : عددها
الاشهر الحرم : أربعة هى رجب، ذو القعدة ، ذو الحجة والمحرم ، وسميت كذلك لأنه حرم فيها القتال
حرم : جمع حرام

الاجمالى

ولشدة ما هم فيه لا يعرف هؤلاء الكفار كم مضى عليهم ولا في أى يوم هم ، الا ليالى الاشهر الحرم ، لأن النبى ﷺ كان يمسك فيها عن القتال لحرمتها والوفاء بحقها فيعرف الكفار بذلك أنهم فى شهر من هذه الأشهر الحرم .

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِـدَا قَرِمِ

معاني المفردات

الدين	:	الاسلام
حـل	:	نـزل
الساحة	:	المكان الفسيح
القـرم	:	بفتح القاف وسكون الراء ، هو السيد الشجاع
قـرم	:	بفتح القاف وكسر الراء ، الشهوة الى اللحم ، بمعنى المشتهـى قتل الأعادى وتمزيق لـحمهم

الاجمالى

وكأن دين الاسلام قد دخل بلاد الكفار وقراهم بهولاء الأبطال الشجعان المشوقين لقتال أعدائهم وافنائهم .

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

معاني المفردات

يجـر	:	المراد يتبع أو يأتى بعده .
بحـر	:	كناية عن الكثرة

خميس : جيش عظيم
سابحة : عائمة
موج ملتطم : يدخل بعضه على بعض لكثرته

الاجمالي

وأن هذا الضيف - الاسلام - يدخل بجيش عظيم ضخم مكون من خمس فرق هي المقدمة ، القلب ، الميمنة ، الميسرة والساقة أي الخلفية ، وأن صفوف هذا الجيش كانت تموج وكأنها موج البحر المتلاطمة التي يجري الواحد منها خلف الآخر في سرعة وترابط ، وكأن الخيل التي تركبها فرسانه في مد أرجلها في سرعة وشدة وتتابع تسبح في الماء .

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّهِ مُحْتَسِبٍ
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

معاني المفردات

منتدب : مجيب للنداء
محتسب : مدخر أجر عمله عند ربه ، أي يعمل الخير لوجه الله تعالى
يسطو : يصول ، يثب ، يهجم
يستأصل : يقتلع من الأصل
بمستأصل : أداة الاستئصال ، أي السيف
مصطلم : مهلك

الاجمالي

وهذا البيت متعلق بالبيت السابق ، فهذا الجيش مكون من متطوعين في حب الله تعالى ونصرة دينه ، وهم يصولون بسيوفهم القاطعة القالعة لأصل الكفار ، في إيمان وقوة وعزيمة صادقة .

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

معاني المفردات

غدت	:	صارت
ملة	:	شريعة
غربتها	:	بعدها
صلة	:	قرب ومودة وتعاطف
الرحم	:	القرابة

الاجمالي

وبهؤلاء الأبطال صار الدين الاسلامي منتشرا وله جذور وأهل وعشيرة في هذه البلاد والمجتمعات التي كانت للكفار بعد أن كان غريبا فيها .

مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

معاني المفردات

مكفولة	: محفوظة ، من كفل ، أى تحمل والتزم
أبدا	: الأبد هو الدهر ، وأبدا أى دائما
البعل	: الزوج
تيتم	: من يتم ، واليتيم هو من مات أبوه
تئم	: من آمت المرأة تئيم ، إذا خلت من الزوج فهى أيم (بتشديد الياء)

الاجمالي

وهذا البيت إضافة للسابق فلم يعد للاسلام فى هذه البلاد مكان وصلة وحسب بل هو محفوظ مصان بهم وهم أفضل من يفعل ذلك ، فهم يرعونه ويصونونه كما تصان المحارم من زوجة مات عنها زوجها أو طفل مات أبوه بعيدا عن كل ذل وهوان .

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ
مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

معاني المفردات

المصادمة : اصطكاك الصفين ، وتصادم الفارسين إذا التقيا بأجسامهما

المصطدم : مكان الاصطدام ، أو هو نفس الاصطدام والصراع ، والمقصود ملتقى الجيوش

الاجمالي

ينتقل الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه فى هذا البيت والأبيات التالية الى الكلام عن هؤلاء الابطال ووصفهم فهم كالجبال ويشهد أعداؤهم على ذلك ومعاركهم وما عملوا فيها ، أى تشهد نتائج هذه المعارك .

وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا
فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

معاني المفردات

حنين : واد قريب من مكة المكرمة تجاه الطائف

بــدر : اسم ماء على طريق مكة المكرمة تجاه المدينة المنورة
أحـد : جبل بالقرب من المدينة المنورة
فصول : هى قطع من الاخبار بما وقـع ، أو هـى أزمنة الموت ، أو الجزاء الذى لقيه الكفار مأخوذة من فصّل القصاب (الجزار) الشـاة تفصيلا أى جزأها
حتف : هلاك ودمار
أدهـى : أشد هولا
الوخـم : الوباء (داء كالباسور) أو هو الجو الوبئ من تعفن الهواء مما يجلب الأمراض

الاجمال

ومن أمثلة ذلك نتائج معارك حنين وبدر وأحد والـتى كانت على الكـفار هلاكا ووبالا .

وكانت لهؤلاء الاعداء أشد وقعا وبلاءً من الوباء ، أو أنها أفنت وأهلكت منهم أكثر مما فعل الوباء .

الْمُصْدِرِي الْبِيضِ حُمْرًا بَعْدَمَا وَرَدَتْ
مِنَ الْعِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

معانى المفردات

المصدرى	:	أصله مصدرين جمع مصدر بضم الميم ، من أصدر الشارب عن الماء أى رجع بعد أن شرب ، والمقصود هنا السيوف المصقلة بعد ضرب الأعداء بها
البيض	:	جمع أبيض وهى السيوف المصقولة
وردت	:	من ورد الشارب الى الماء ذهب اليه
اللمم	:	جمع لمة وهى الشعر المجاور لشحمة الأذن
اصدارها	:	جذبها من أجساد الاعداء

الاجمالى

إن السيوف البيضاء قد رجعت وقد اصطبغت باللون الأحمر بعد أن أصابت من أجساد الكفار كل مكان خاصه مكان اتصال الرأس بالرقبة . وهذا كناية عن قطع هذه الرؤوس .

وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ
أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

معانى المفردات

السمر	:	جمع أسمر وهو الرمح
الخط	:	شجر يؤخذ منه خشب الرماح ، أو هو مرفأ (ميناء) بين البحرين كانت تباع فيه الرماح
أقلامهم	:	المراد هنا أسنة الرماح
حرف الجسم	:	طرفه وأى ناحية فيه
منعجم	:	المنقوط من الحروف

الاجمالى

هنا يشبه المحاربين وكأنهم يكتبون برماحهم التى لم تترك جزءا من أجساد الاعداء إلا وأصابته ، وكأنها أقلام تضع النقاط هنا وهناك .

شَاكِى السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ
وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ

معانى المفردات

شاكى السلاح : أسلحتهم حادة شديدة الفتك مستعدة

سيما : علامة
تميزهم : توضحهم ، تحددهم
السلم : بفتح السين واللام ، شجر له شوك يشبه الورد ، يدبغ به

الاجمالي

وهم رافعون أسلحتهم مستعدون بها ولهم علامات تميزهم ، وكأنهم الورد الذى يمكن تمييزه عن نبات السلم الذى يدبغ به وإن تشابها فى الشكل إلا أن الورد يمتاز عنه بحسن الشكل وطيب الرائحة .

تُهْدِى إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِى الْأَكْمَامِ كُلَّ كَمِى

معانى المفردات

تهدى : ترسل
النشر : الرائحة الطيبة والمراد الخبر السار
تحسب : تظن
الاكمام : جمع كم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذى يغطى الزهر
الكمى : الفارس الشجاع ، من كمى جسد بالسلاح أى ستره به

الاجمالى

إن رياح النصر تدل عليهم وتنشر خبرهم الطيب وكأن كل شجاع منهم وهو متستر بسلاحه كالورد المختبىء فى غلافه .

كَأَنَّهُم فِى ظُهُورِ الْخَيلِ نَبْتُ رُبًا
مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ

معانى المفردات

ربا	:	بضم الراء ، جمع ربوة وهى المكان المرتفع من الأرض
الحزم	:	بفتح الحاء وسكون الزاى ، ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة
الحزم	:	بضم الحاء والزاى ، جمع حزام وهو ما يشد به السرج على ظهر الدابة ، وأيضا الربط بالحبال

الاجمالى

وثبات هؤلاء الأبطال فوق ظهور الخيل قوى متين وكأنهم نبات نما فى هذا الموضع ، وإن هذا الثبات مصدره الشجاعة والثقة فى النفس والمبدأ وليس مصدره تلك الأربطة التى تشده لجواده .

والتشبيه بنبات الربا وهى الأماكن المرتفعة أنسب وأكثر قوة لأن هذا النبات عادة مايكون أكثر ثباتا وجذوره أكثر رسوخا .

كما أن التشبيه بالنبت الذى نما فى ظهور الخيل يفيد أنهم إن تمايلوا هنا أو هناك تفاديا لضربات الأعداء أو ليقوموا هم بضرب الأعداء فإن أصولهم وثباتهم على الخيل يظل كما هو ، تماما كالنبات إن هو تمايل فإن أصله وجذوره تظل ثابتة .

طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهَمِ

معانى المفردات

طارت قلوب : اضطربت وكأنها انخلعت من أجسامهم
بأسهم : شدتهم

الفرق : شدة الرعب والفزع
البهم : بفتح الباء وسكون الهاء ، السخال ، أى أولاد البقر والمعز والضأن
البهم : بضم الباء وفتح الهاء ، جمع بهمة وهو الشجاع ، سمى بذلك لانه يستبهم (لا يعرف) مأتاه ، أى تخفى مقاتله

الاجمالي

ولفرط شجاعة وقوة هؤلاء الأبطال تجد الأعداء وقد أصابهم الفزع والخوف فما تستطيع أن تفرق أو يميز منهم الجبان الذى يجرى هربا وكأنه من البهم المفزعة التى تجرى اضطرابا وهربا بلا تمييز وبين الشجاع منهم الذى يجرى استعدادا للمنازلة والحرب .

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ
إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِى آجَامِهَا تَجِمِ

معانى المفردات

نصرة	:	تأييد
الآجام	:	جمع أجمة ، وهى غابة الأسد
تجم	:	بكسر الجيم ، مضارع وجم بمعنى أمسك عن الكلام والحركة خوفا أو هيبة أو غما وكمدا

الاجمالي

وقد استمد هؤلاء الابطال شجاعتهم ونصرهم من رسول الله ﷺ ، ومن يكن هذا حاله فإن الأسد تهابه حتى وإن قابلها فى أماكن سيادتها وسلطانها فإنها تقف فى سكون ورهبة .

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ
بِهِ وَلا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

مَعَانِي المُفْرَدَاتِ

ولى : صديق
منتصر : فائز
منقصم : بالقاف ، منكسر مقطوع
منفصم : بالفاء ، منكسر بلا قطع

الإجمالي

وانه لن يحدث أن يكون هناك محب لسيدنا رسول الله لائذ به ﷺ ولا يكون فائزا ناجحا ، ولن تجد عدوا له ﷺ إلا وهو منهزم مدحور .

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

مَعَانِي المُفْرَدَاتِ

أحل : أنزل
حرز : حصن
الملة : الدين ، والمقصود هنا الاسلام
الليث : الأسد
الاشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد
أجم : جمع أجمة وهى الغابة

الاجمالي

وقد وضع سيدنا رسول الله ﷺ المسلمين في حصن الاسلام وأمانه كالأشبال مع أبيهم في أمن من أى شئ وإن هم نزلوا الى الغابة ذات الوحوش .

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ
فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

معاني المفردات

جدّلت	: بتشديد الدال ، من الجدالة وهى وجه الأرض ، وجدّلت بمعنى أوقعت على الجدالة أى الأرض منهزما ، أى هزمت
كلمات الله	: آيات القرآن الكريم
الجدل	: بكسر الدال ، كثير الجدال (بفتح الدال) النقاش ، والخصام
خصم	: بفتح الصاد ، غلب في الخصومة
خصم	: بكسر الصاد ، مخاصم شديد العداوة
البرهان	: الدليل القاطع

الاجمالي

كثيرا ما هزمت كلمات الله تعالى وهى آى القرآن الكريم ودعوته السماوية وهى الاسلام من مجادل معاند لها ولسيدنا رسول الله ﷺ وأعماله وأحواله . وكثيرا ما غلبت بالبيان والحجة من هم فى عداء شديد للاسلام وللرسول

والامام هنا يشير الى ما كان يجرى من محاولات من اليهود وغيرهم من الكفار لاحراج النبى ﷺ بالاسئلة التى كانت تجيب عليها الآيات .

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِى الأُمِّىِّ مُعْجِزَةً
فِى الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِى اليُتْمِ

معانى المفردات

الأمى : بتشديد الميم والياء . من لا يعرف القراءة والكتابة
الجاهلية : الزمن الذى لا علم فيه
تأديب : اكساب حسن الخلق
اليتم : فقد الأب

الاجمالى

وكفى معجزة وآية ذلك العلم الذى كان عليه سيدنا محمد ﷺ وهو الذى لم يعلمه أحد فقد نشأ أميا لا يقرأ ولا يكتب ثم هو ﷺ نشأ فى عصر سادته الجهالة والتخلف .

وأيضا هذا الأدب العالى الكامل الذى كان عليه ﷺ بالرغم من أنه ﷺ قد نشأ يتيما فلم يربه أو يوجهه ﷺ أحد .

فإن كل ذلك من عند الله العلى القدير .

الفصل التاسع

فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم

يتضمن هذا الفصل ١٢ بيتا تظهر الاتجاهات الصوفية للامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه والتزامه بالتوسل بسيدنا رسول الله ﷺ فى أمور دينه ودنياه .

وفى هذا المجال يتحدث الامام عن الغرض الذى من أجله نظم القصائد فى مدح سيدنا المصطفى ﷺ .

وهو يقول أن سبب المديح هو طلب العفو عما تقدم من حال وزمن أضاعه فى تناول أغراض الشعر المختلفة وخدمة كبار القوم وتقلد الوظائف التى لم يكن هو نفسه راض عنها (خدمته بمديح استقيل به : ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم) ثم عاد فى مكان آخر ليؤكد هذا المعنى من جديد حين أوضح أنه لم يرد بهذا المديح خيرا يناله فى الدنيا كما كان الشعراء فيما مضى ، حيث كانوا ينالون الخير العميم بمدحهم لعلية القوم ومثال ذلك

ما ناله زهير بن أبى سلمى من خير عيم كثير بمدحه هرم بن سنان
(ولم أرد زهرة الدنيا التى اقتطفت : يدا زهير بما أثنى على هرم)

ويقول الامام أن الشعر والخدمات التى كان يؤديهما لم يوصلاه إلا إلى ما هو ليس محمودا من الأمور ومالا تحمد عقباه .. وكأنه بهما قد طوقا عنقه بما لا يرضى فصار مميزا بذلك شأنه شأن الابل التى كانت تهدى الى الكعبة المشرفة والتى كانت تطوق بشئ يميزها حتى تعرف أنها من الهدى
(إذ قلدانى ما تخشى عواقبه : كأننى بهما هدى من النعم)
وأنه قد أطاع هوى شبابه الذى أضله فى إتيان واتباع هذين الأمرين وما نال من جراء ذلك إلا الذنوب والحسرة والندم
(أطعت فى الصبا فى الحالتين وما : حصلت إلا على الآثام والندم) .

وفى هذا الجزء من القصيدة أبيات هى قمة فى النصح الواعى المخلص ، والتوجيه العظيم .. فيالها من تجارة خاسرة تلك التى لا يشترى فيها الانسان دينه بدنياه التى تقل عن آخرته قيمة وقدرا (فيا خسارة نفس فى تجارتها : لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم)) أما هذا

الذى يبيع آخرتــه بدنياه فسوف يعلم أى خسارة نالهـــــا
فى بيعه هذا فى دنياه وفى أخراه (ومن يبع آجلا منه
بعاجله : يبن له الغبن فى بيع وفى سلم) .

والبيتــان المتقدمان يمكن أن يذهبا مذهب الحكـــم
والأمثـــال .

ويخلص الامام فى بقية هذا الجزء من البردة الى مديـــح
سيدنا رسول اللـــه والتوسل بـــــه ﷺ .

فهو ﷺ المستغفر لذنوب المؤمنين لدى رب كريـــم
رحيم ولا يعاقبهم على هذه الذنوب بأن يخلف عهـــوده
ﷺ معهم ومقاطعتهم (إن آت ذنبا فما عـهدى بمنتقض
: من النبى ولا حبلى بمنصرم) فهو ﷺ أكثر الناس
وفــاء بهذه العـهود مع الناس بشكل عام .. أمـا الامـا م
البـــوصيرى رضـى الله تعالى عنــه فيزيد رجاؤه فى كـــر م
وفضل رسول الله ﷺ لأنــه سميّــه (بتشديد اليـــاء)
(فإن لى ذمة منه بتسميتى : محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم)
ولا يمكن لرسول الله ﷺ أن يحرم من كرمه وعطفه ﷺ
من يرجوهما ، أو أن يرجع من يلجأ اليه ﷺ فى أمـرمـا
وهو مخزول (حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه : أو يرجع
الجار منه غير محترم) فإن كل من يلجأ اليه ﷺ ينـــال

الخير العميم حتى وإن كان شديد الفقر فإنه تظهر عليه النعمة ودلائل الغنى ، ومثل جوده وكرمه ﷺ في ذلك مثل المطر العميم الذي يؤدي الى إنبات الزهر حتى في الأماكن المرتفعة العالية والتى عادة ما تكون محتاجة الى الكثير من الماء لتنبت (ولن تفوت الغنى منه يد تربت : إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم) ، وإذا كان هذا هو خير الدنيا تفيض به يداه الكريمتان ﷺ فإن الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه يرجو منه ﷺ الوسيلة والشفاعة والعون يوم القيامة .. فإنه ﷺ إن لم يفعل ذلك فإنه لن يمكن لأحد الجواز على الصراط (إن لم يكن في معادى آخذا بيدى : فضلا وإلا فقل يا زلة القدم) ويؤكد الامام رضى الله تعالى عنه هذا المعنى بأن يوضح أنه منذ أن خلص الى مديح سيدنا المصطفى ﷺ دون تناول غير ذلك من أغراض الشعر فإنه يشعر بأن سيدنا محمد ﷺ متكفل بخلاصه مما قد يصادفه من صعاب (ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه : وجدته لخلاصى خير ملتزم) .

....

والآن الى تفاصيل هذا الفصل

....

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ
ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ

معانى المفردات

المديح	: ما يمدح (بضم الياء وسكون الميم) به أى ما يقال من الثناء الحسن وتعداد الفضائل
خدمته	
بمديح	: قدمت اليه المديح
أستقيل	: أطلب الاقالة ، أى العفو
ذنوب	: جمع ذنب ، وهى الجرائم والأخطاء
مضى	: ذهب والمقصود ضاع
الخدم	: بكسر الخاء وفتح الدال ، جمع خدمة وهى المهنة والعمل للناس لكسب العيش ، أو هى ما يتقرب به للناس

الاجمالى

هنا يوضح الامام اليوصيرى رضى الله تعالى عنه السبب الذى من أجله يمدح سيدنا رسول الله ﷺ فيقول أن ذلك كان طلبا للعفو والمغفرة عن عمر أضاعه فى تناول الأغراض المختلفة للشعر وتولى الوظائف العامة وتقديم الخدمات للناس ، وهو ما يعتبره من العمر الضائع ، ما لم يشغل بالعمل للآخرة .

إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

معاني المفردات

قلد	: كلف وحمل ، أي جعله كالقلادة
الخشية	: الخوف
عواقب	: جمع عاقبة ، وهو نتائج الأمور وآخرها
الهدى	: ما يهدى الى الحرم ليذبح
النعم	: الابل

الاجمال

ومعنى هذا البيت مرتبط ومكمل للبيت السابق ، فيقول الامام كلفني الشعر والخدمة ارتكاب أمور مكروهة أخشى عواقبها وكأنهما طوقا عنقى كعلامة مميزة لى كما كان يفعل مع الابل التى كانت تهدى للكعبة المشرفة والتى كانت تميز بطوق حتى يعلم من يراها أنها كذلك .

وبلاغة التعبير بكلمة الهدى هنا عظيمة ، فهى أولا تحمل معنى عدم الفهم الصحيح للأمور وهذا شأن الحيوان دائما ، وهى ثانيا تحمل معنى الهلاك والضياع ، فالهدى مصيره لا بد الى ذلك ، ومن هنا كان التخوف من نفس المصير بسبب الانشغال بالشعر والدنيا ، وأن يكون ذلك غير مقبول من المولى عز وجل ، وفى ذلك ولا شك كل الهلاك والضياع .

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ

معانى المفردات

غى	:	ضلال
الصبا	:	الشباب
الحالتين	:	الشعروالخدم
الآثام	:	الذنوب
ندم	:	حسرة وخسارة

الاجمالى

وهذا البيت أيضا مرتبط فى المعنى والسياق بسابقيه ، فهنا يقول أن سبب الانشغال بالدنيا فيما مضى كان استجابة لآمال وأفكار الشباب وعدم رويته الذى دفعه الى الشعر وخدمة الدولة والقائمين على الأمر فيها طمعا فى الدنيا ، وأن كل ما حصل عليه من وراء ذلك هو الذنوب والندم على هذا العمر الضائع .

فَيَاخَسَارَةَ نَفْسٍ فِى تِجَارَتِهَا
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

معانى المفردات

نفس : بمعنى انسان
تسم : بفتح التاء وضم السين ، من السوم أى عرض الشئ للبيع ولم تساو فى القيمة وتنال قدرها

الاجمالى

يذهب هذا البيت مذهب الحكم والأمثال بما يحمل من حقيقة غير قابلة للنقض .

فلفظ (يا) للنداء وكان من عادة العرب اذا ما تعجبوا من شئ أو استعظموه سبقوه بياء المنادى وكأنهم يستدعونه .

فهنا يقول الامام رضى الله تعالى عنه ، ما أكبرها من خسارة وما أعظمها ، أن يسخر الانسان عمره وامكانياته لكسب الدنيا ، ولا يسخر دنياه فى سبيل أخراه ، ويشترى دينه وآخرته بهذه الدنيا الفانية ، فإنه يشعر أنه لم يؤجر ولم يحصل على ما يساوى ما قد قدم .

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ فِى بَيْعٍ وَفِى سَلَمِ

معانى المفردات

الآجل	: البعيد الزمن، يريد به الآخرة
العاجل	: القريب ، يريد به الدنيا
الغبن	: والنقص والخداع والخسارة فى البيع والشراء
السلم	: بفتح السين واللام ، نوع من البيع يؤجل فيه تسليم المبيع بينما يقبض الثمن عاجلا ، وهو أيضا التسليم والاعطاء

الاجمال

وهذا البيت أيضا يذهب مذهب الحكم والامثال .

فإن من يبيع أخراه فى مقابل دنياه ، فإنه بذلك يخسر فى بيعه العاجل ، أى الدنيا ، وفى بيعه الآجل أى فى الآخرة ، فهو يشعر بخسارتهما معا .

إِنْ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِى بِمُنْتَقِضٍ
مِنَ النَّبِىِّ وَلَا حَبْلِى بِمُنْصَرِمِ

معانى المفردات

آت	: أصله أأت بهمزتين ، أى أفعل
العهد	: الميثاق ، والايمان
منتقض	: بمحلول ، بمنكوث ، ونقض العهد عدم الوفاء به
حبلى	: وصلى ، أو صلتى
منصرم	: منقطع

الاجمالى

وإذا ما كنت قد آتيت ما يوجب غضب الله فى أحد هذه الأمور السابق الكلام عنها ، أو فى غيرها ، فإن ذلك لن ينهى صلتى برسول الله ﷺ ولا يسقط عهدى معه ﷺ وهو الاسلام ، بل إنه ﷺ سيظل يعطى ويعفو ويرعى فليس من يقترف ذنبا بكافر ، فإن الله غفور رحيم .

والتعبير هنا بضمير المتكلم لا يعنى خصوصية فى ارتكاب الذنب ، وأيضا فى الغفران ، فذلك للتمثيل ، والحكم عام للكافة .

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْـهُ بِتَسْمِيَتِي
مُحَمَّـدًا وَهُوَ أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ

معاني المفردات

ذمة	:	عهد ، أمان ، جمعها ذمم
تسميتي	:	اطلاق الاسم على الشخص
أوفى	:	اسم تفضيل من وفى بالعهد إذا رعاه وحفظه

الاجمالي

وإذا كان من خصوصية مقصودة فهي في هذا البيت الذي يقول فيه الامام إن لي مع رسول الله ﷺ عهد بتشابه الاسماء بيننا (فالامام هو محمد بن سعيد .. كما جاء بالمقدمة) وهو ﷺ محمد بن عبد الله خير موفى بالعهود

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي
فَضْـلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَـدَمِ

معاني المفردات

في معادي	:	العودة الى دار الجزاء ، يوم القيامة
الأخذ باليد	:	الخلاص من الشدة

فضلا	:	تبرعا ، تطوعا
الزلة	:	العثرة والسقطة ، وزلة القدم هي الوقوع في الشدة وتعذر الخلاص منها

الاجمالي

وهنا يعود الامام من جديد للكلام بضمير المتكلم ، وإن كان الحكم عاما .

وفي هذا البيت يقرر حقيقة دينية هامة وإن كانت لتغيب عن الكثيرين ، وهي أنه إذا لم يكن سيدنا رسول الله ﷺ آخذا بيدنا بالشفاعة لنا يوم القيامة كرما منه ﷺ فإن الخلاص والنجاة في ذلك اليوم تكون عسيرة ، أو حتى مستحيلة

حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

معاني المفردات

حاشاه	:	أنزهه ﷺ
يحرم	:	يمنع
الراجي	:	من الرجاء ، أي الأمل في الحصول على شيء
المكارم	:	جمع مكرمة ، وهي الفضل والخير والمراد هنا الشفاعة

بمعنى المستجير
ندء
ر

الاجمالي

وهذا البيت ملحق معنى ومبنى بالبيت السابق ، فانه ﷺ منزه عن أن يحرم من يرجوه ويأمل في أفضاله ويلجأ اليه ﷺ أن يرجع مخزولا .

وهذا البيت أيضا كسابقه يقرر حقيقة ثابتة لا يرقى اليها الشك .

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِى مَدَائِحَهُ
وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِى خَيْرَ مُلْتَزِمِ

معانى المفردات

ملتزم : متكفل
مدائح : جمع مديح ، وهو الثناء الحسن

الاجمالي

وفى هذا البيت يقيم الامام رضى الله تعالى عنه الدليل العملى والبرهان الساطع الواضح القائم على تجربته الذاتية اثباتا للقضية او الحقيقة التى جاء بها فى الأبيات السابقة

فيقــول إننى منذ أن اقتصرت فى شعرى على مدح سيدنــا رسول الله وجدته ﷺ خير متكفل بخلاصى من كل مـــا أعانى .

وفى هذا البيت أيضا اثبات لما سبق أن ذهبنا اليـــه من تحليل وهو أن الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنــه قــد توقف عن تناول أغراض الشعر المختلفة واقتصر فى هذه الآونـة من عمره على تناول المدح لسيدنا رسول الله ﷺ فقط .

وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرِبَتْ
إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكَمِ

معانى المفردات

تربت اليد	: اشتد فقرها وكأنها التصقــت بالتراب
الحيــا	: المــطــر
الأكــم	: جمع أكمة ، وهى الربوة ، أى المرتفع من الأرض

الاجمالى

إن فضله وخيره ﷺ عميم كثير حتى أنه يغنى أشد الناس فقرا سواء كان ذلك ماديا فى أمر من أمور الدينا ، أو معنويــا فى أمر من أمور الدين .

وخيره ﷺ كالمطر العميم الذى يؤدى الى إنبات الزهر فى الأرض المرتفعة والتى تحتاج الى الماء الغزير ، فكذلك خيره ﷺ .

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِى اقْتَطَفَتْ
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

معانى المفردات

زهير : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر المعروف

أثنى : من الثناء وهو المدح ، أى مدح

الاجمالى

يشير الامام هنا الى أنه لم يقصد بهذا المديح النبوى غرضا دنيويا كما كان يفعل قدامى الشعراء مثل زهير الذى أثرى بمدحه هرم بن سنان من أجود ملوك العرب فى الجاهلية ، أما الامام فيرجو الشفاعة والغفران .

الفصل العاشر

فى المناجاة وعرض الحاجات

يتكون هذا الفصل من ٩ أبيات فقط طبقا للقصيدة الأصلية التى نظمها الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه على أنه قد زيدت عليه أبيات أخرى فى نهاية القصيدة صارت تطبع وتقرأ على أنها من البردة التى أنشأها الامام ولكنها فى حقيقتها ليست كذلك .

وإنه وإن كانت العادة قد جرت على تناول البردة بهذا الوضع الراهن الذى نوهنا عنه .. إلا أننى قد أوردت هذه الأبيات الزائدة بعد نهاية هذا الفصل .. وتحت عنوان منفصل .. حتى لا يقع من يتناول كتابنا هذا من جديد فى نفس الخطأ الشائع الذى وقع فيه السابقون من التعامل مع هذه الأبيات الزائدة على أنها من البردة المباركة والتى نظمها الامام البوصيرى .

وأحب أن أوضح هنا بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الكلام ليس تعريضا بهذه الأبيات الزائدة أو واضعيها

لأن لها احترامها وتقديرها .. شكلا وموضوعا .

فمن ناحية الشكل جاءت هذه الأبيات على نسق أبيات البردة الأصلية ونفس القافية والروى .

ومن ناحية المضمون فهو جيد ومتناسق هو الآخر مع ما تضمنته البردة من معان سامية .. وغرض نبيل .

أما من ناحية إضافتها فإن الهدف منه هو الآخر ليس بالسيء ولا الخبيث .

ولكنه مع تقدير كل هذه الأمور فإنه لا يجب معاملة هذه الأبيات على أنها من البردة الأصلية .

ولذا وجب التنويه إثباتا لهذه الحقيقة العلمية .. وتوضيحا لما سيجده القارئ هنا من اختلاف فى هذه المعاملة للبردة عما اعتاد أن يجده .. وذلك قبل تناول أبيات هذا الفصل بالشرح والتفصيل .

وفى هذا الفصل يوجه الامام البوصيرى الحديث الى مولانا رسول الله ﷺ فيقول له يا أكرم من خلق الله تعالى ليس لى سواك الجأ اليه وأحتمى به عندما تحين الساعة

(يا أكرم الخلق مالى من الوذ به : سواك عند حلول الحادث العمم)

والامام يعلم ويقر بأنه ﷺ لن يضجر أو يغضب من ذلك ولا بمن يلجأ اليه ﷺ ، بل إن عطفه ﷺ سيشمله يوم القيامة ، يوم يتصف المولى عز وجل بصفة واسم المنتقم رغم كرمه تعالى .. وذلك لينتقم ويقتص ممن يستحق ذلك .

وفى بعض طبعات البردة جاء فى هذا البيت " .. إذا الكريم تجلى " (بالجيم) وليس " تحلى " (بالحاء) .. أى إذا ما ظهر الله تعالى للناس وعاملهم بصفته "المنتقم" اقتصاصا ومحاسبة لمن يستحق على ما اقترفه فى الحياة الدنيا .. وكلا المعنيين سام وصحيح . (ولن يضيق رسول الله جاهك بى : اذا الكريم تجلى باسم منتقم) .

وكرم رسول الله وفضله ﷺ سبب الخير العميم فى الدنيا والآخرة (الدنيا وضرتها)وقد أحاط علمه ﷺ بما كتب فى اللوح المحفوظ (فإن من جودك الدنيا وضرتها : ومن علومك علم اللوح والقلم) ولذلك فإنه لا يجب أن يتملك الانسان اليأس من رحمة الله تعالى وغفرانه جل وعلا للذنوب وإن هى عظمت فإنها تعد كالذنوب التافهة أمام رحمة الله تعالى وكرمه وغفرانه .. طبعا إذا ما صدقت التوبة .(يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت : إن الكبائر فى الغفران كاللمم) ثم يرجو الامام الله تعالى أن يقسم

لعباده من رحمتــه وغفرانه تعالى ما يتناسب مع ما اقترفــوه من ذنوب وآثام حتى تشملهم التوبة والغفران (لعل رحمة ربى حين يقسمها : تأتى على حسب العصيان فى القسم) .

ثــم يتوجه الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه بعــــد ذلك بالدعاء الى الله تعالى أن يتقبل منه مــا تقدم مـــــن رجاء وأن يجعل أمله فيه تعالى وما عمل من أعمال صالحـــــة مقبولا لديه تعالى (يارب واجعل رجائى غير منعكس : لديك واجعل حسابى غير منخرم) ويرجو الله تعالى أن يشمله بعطفه وغفرانه تعالى فى الدنيا والآخرة ، وألا يختبره بكبــير البلاء ، فإن احتمال الانسان وصبره قد ينــهزم أمــــام هذا الامتحان (والطف بعبدك فى الدارين إن له : صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم كمــا يرجو الامام الله تعالى أن تستمــر صلواته تعالى على النبى ﷺ دائمة وشاملة وكثيرة ..

وصلاة المولى عز وجل على النبى ﷺ هى المزيد مــــن الرفعة والعلو والدرجــــات له ﷺ .. والتعبير بلفـــــظ " سحب صلاة " تعبير عظيم عن الشمول والكثرة ...

(وأذن لسحب صلاة منك دائمة : على النبى بمنهل ومنسجم) كما يرجو الامام رضى الله تعالى عنه أن تستمر هذه الصلاة ، وهذا الاكرام من الله تعالى لرسوله المصطفى ﷺ مـــــا

استمرت الريح فى مداعبة الأغصان .. كناية عن استمـــرار الحياة .. باستمرار الظواهر الطبيعية وما استمرت النـــاس فى السفر والحل والترحال (ما رنحت عذبات البان ريـــح صبـا : وأطرب العيس حادى العيس بالنغـم) .

....

والآن الـى تفاصيـل هذه الأبيـات

....

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

معانى المفردات

الـوذ به : أحتمى به والجأ اليه
حلول : وقوع ، حدوث
الحادث العمم : الهول الشامل ، يقصد يـوم القيامة ، لأن العمم هو العام الشامل للجميع

الاجمالى :

هنا ينتقل الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه الى تبيان الغرض الذى من أجله يمدح النبى ﷺ ويقول موجها حديثه اليه ﷺ قائلا يا أكرم من خلق الله تعالى ليس لى من ألجأ اليه يوم القيامة الا أنت .

وقد جاء البيت فى بعض طبعات البردة بلفظ " يا أكرم الرسل . . " ولا يغير ذلك من المعنى شيئا .

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِى
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

معانى المفردات

الكريم	: المتجاوز عن الذنوب ، وهو المولى عز وجل
تحلى	: اتصف ، وفى رواية تجلى بمعنى ظهر وبدا
المنتقم	: المعاقب من عصى ، المؤاخذ بالذنب

الاجمالى

والامام فى هذا يعلم أن رحاب سيدنا رسول الله ﷺ ورحمته وعطفه وشفاعته ﷺ لن تضيق أو تحجم عن قبوله

يوم القيامة الذى يحاسب الله تعالى فيه العباد على ما ارتكبوه من الخطايا متصفا تعالى بصفة المنتقم ليقتص من العصاة ، بالرغم من كونه تعالى متسامح واسع المغفرة .

وإذا ما قرئ البيت بلفظة " تجلى " بدلا من تحلى كما جاء فى بعض الطبعات فإنه يعني أنه فى هذا اليوم العظيم يظهر الله تعالى لعباده باسم وصفة المنتقم ليحاسبهم على ما اقترفوه من الذنوب .

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

معانى المفردات

الجود	:	الكرم
الدنيا	:	خير الدنيا ، والمقصود نعمة الاسلام
ضرتها	:	معناها فى أصل اللغة عدوتها والمقصود هنا الآخرة وخيرها بنعيم الجنة ، أو تكرم رسول الله ﷺ علينا بالشفاعة يوم القيامة ، وكل هذا من فضله وكرمه
علم اللوح والقلم	:	علم ما كتبه القلم وثبت فى اللوح المحفوظ

الاجمالي

والمعنى فى هذا البيت مرتبط بالبيتين السابقين فإن اللجوء اليه ﷺ وقبوله ﷺ لذلك ليس بمستغرب فإن من كرمه ﷺ ذلك الخير الذى يناله منه ﷺ كل من يطلب الخير من أسباب المعيشة الدنيوية وأيضا من يطلب الخير فى الآخرة من الشفاعة لدى المولى عز وجل والذى عبر عنهما بالدنيا وضرتها أى الدنيا والآخرة فضرة المرأة هى عدوتها أى المرأة التى تأتى على زوجة أخرى لما يكون فى ذلك من ضرر فى المعاشرة ، فالآخرة ضرة الدنيا لا تجتمعان معا لطالب واحد لاختلاف متطلبات كل منهما فالدنيا للملذات الفانية والآخرة للسعادة الباقية والعمل الموصل لأحداهما هو على حساب الأخرى .

ويريد بالقلم أن ما جاء به رسول الله ﷺ من العلوم صادر من اللوح المحفوظ المكتوب بقلم القدرة الالهية .

أى أن سيدنا رسول الله ﷺ يعطى كل سائل سؤاله فمن التمس خير الدنيا وجده وكذلك من كان رجاؤه الآخرة أو التفقه فى الدين والعلم .

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الكَبَائِرَ فِي الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

معانى المفردات

القنوط	: اليأس
الزلة	: الذنب الكبير
عظمت	: كبرت
الكبائر	: جمع كبيرة ، الذنوب العظيمة
الغفران	: المغفرة
اللمم	: الذنوب الصغيرة

الاجمالى

وهنا يوجه الامام رضى الله عنه حديثه الى النفس فيحثها على التوبة وعدم الاستمرار فى العصيان استعظاما للذنوب عن الغفران ويأسا من رحمة الله تعالى وإن كانت قد أتت الكبائر فإن هذه الكبائر إذا ما صدقت التوبة تكون فى موقع الذنوب الصغيرة المعفو عنها فى غفران الله تعالى .

والامام هنا وإن كان يوجه الحديث لنفسه هو إلا أنه يقصد العموم .

وهذا البيت يذهب أيضا مذهب الحكمة والمثل العام .

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

معانى المفردات

حسب	: بفتح السين ، مقدار
القسم	: بكسر القاف وفتح السين ، جمع قسمة وهى ما يقسمه الله تعالـى لخلقه ، أى يعطيهم نصيبهم

الاجمالى

وهنا يتوجه الامام بالدعاء الى الله تعالى بالرجاء بقسمة رحمته تعالى وغفرانه لعباده ، على قدر ما أتى كل منهم من معصية حتى يتوب تعالى على الجميع ويقبلهم .

والمراد بالرحمة هنا هى الرحمة التى تنال العصاة وليست رحمته تعالى كلها وإلا ما نال المطيع شيئا .

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

معانى المفردات

الرجـاء	: الأمـل
منعكس	: مقلوب وراجع ومخالف للظن

لديك : عندك
حسابى : المراد هنا الاعتقاد
منخرم : منقوص ، منقطع

الاجمالى

ويرجو الله أن يقبل دعاءه وألا يجعل رجاءه فيه تعالى معكوسا وراجعا ، وأن يجعل اعتقاده وظنه وأمله فى المولى عز وجل غير منطقع بل فى موضعه .

والطُف بِعَبدِكَ فِى الدَّارَينِ إنَّ لَهُ
صَبرًا مَتَى تَدعُهُ الأَهوَالُ يَنهَزِمِ

معانى المفردات

الطف : ارفق
الدارين : الدنيا والآخرة
الهول : الأمر الكبير المشقة
الانهزام : الهرب

الاجمالى

ويسأل الامام الله تعالى الرفق بعباده فى الدنيا والآخرة فإن الانسان قليل الصبر على البلاء وإذا تعرض لأمر صعب فإنه ينهار أو يستسلم لليأس .

وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

معاني المفردات

أذن	: بمعنى الاباحة والسماح ، أو بمعنى الأمر (مر) بضم الميم وسكون الراء
سحب	: جمع سحاب وهو الغيم ، وهنا المقصود الكثرة
صلاة	: طلب المزيد من الرحمة والكرامة لرسول الله ﷺ
منهل	: شديد الانصباب
منسجم	: يسيل بشدة ، هاطل

الاجمالي

المقصود بسحب صلاة هنا رحمة من الله تعالى ورفعة منه كثيرة عميمة كالسحاب كثير المطر ، فالصلاة على الأنبياء سلام الله تعالى عليهم هي طلب المزيد من الكرامة لهم .

فالامام هنا يدعو الله تعالى أن تستمر رحمته وتكريمه تعالى للنبي ﷺ عميمة كثيرة هاطلة .

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبًا
وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ

معاني المفردات

رنحت	: أمالت وهزت
عذبات	: جمع عذبة وهى الغصن
البان	: نوع من الشجر لطيف الأغصان طيب الرائحة
الصبا	: الريح الشرقية ، سميت بذلك لأنها تقابل بهبوبها ، باب الكعبة الشرقى فكأنها تصبو وتحن اليه
الاطراب	: إحداث الطرب أى السرور
العيس	: جمع الاعيس للذكر وعيساء للأنثى ، وهى كرائم الابل التى تتميز باللون الأبيض الذى يخالطه شقرة أو ظلمه
الحداء	: بضم الحاء هو الغناء .
حادى العيس	: قائدها الذى يسوقها ويغنى لها لتسير فى نشاط
النغم	: جمع نغمة وهى التطريب فى الغناء هو الصوت الذى يقصد به الاطراب

الاجمال

وهذا البيت ملحق بالبيت السابق فإن الامام رضى الله عنه يرجو الله تعالى أن تستمر هذه الصلاة على النبى ﷺ فى الهطول (النزول) ما استمرت على الارض نسمة تداعب الأغصان ، وكان هناك حل وترحال وحركة فى الحياة كنى (عبر) عنها الامام بصورة من صور الرحلات فى القدم حيث كانت القوافل تسير ويقودها من يغنى للجمال حتى تجد (تسرع) فى السير .

تذييل لغير الناظم

وهذا التذييل (بمعنى اضافة فى ذيل القصيدة أى نهايتها) عبارة عن ٧ أبيات على نفس روى وقافية أبيات البردة المباركة .. جرت كثير من طبعات البردة ـ خاصة الحديث منها ـ على إيرادها على أنها من أبيات البردة الأصلية كما سبق أن ذكرنا .. وإن كانت ليست كذلك .

وهذه الزيادة فى النص محاولة لتوسيع دائرة الدعاء والمديح التى قصر الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه قصيدته عليها لتشمل .. الى جانب رسول الله ﷺ أهل البيت الكرام وغيرهم من الصحابة .

فهى ترجو الله تعالى أن يشمل برضاه الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأرضاهم

(ثم الرضا عن أبى بكر وعن عمر : وعن على وعن عثمان ذى الكرم)

وأيضا أن يشمل هذا الرضا الالهى الكريم آل بيت النبوة الأطهار المكرمين وصحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم على الايمان والهدى ، فهؤلاء الذين يخشون الله تعالى الخالصين من الخطايا والذنوب المشهود لهم بسعة وحسن

الخلـــق والـــجود . (والآل والصحب ثم التابعين فهم أهل التقى والنقى والحلم والكـرم) .

ونطلب ذلك يـارب جـل عـلاك ، وأيضا أن تتسامـح وتتجاوز بكرمك عما فـــرط منا من ذنوب وخطايا مستشفعـين فى قبول رجائنا برسول الكريم الذى اخترته ﷺ من بـين خلقك ، فأنت يـارب كبير الجود عظيمه (يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا : واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم) ونرجـــو أن يشمل رضاك وعفوك يـارب جميع المسلمين مستشفعـــين بما يتلى من آيات القرآن الكريم فى الكعبة المشرفة ودعـــوات مباركات ، وما كـان يتلى من قديم فى المسجد الأقصى (واغفر الهى لكل المسلمين بما يتلوه فى المسجد الأقصى وفى الحرم)

ونكرر يـارب الرجاء والاستشفاع بسيدنا المصطفـــى ﷺ الذى سكن المدينة المنورة حال حياته وضمه ترابهـا الطاهر العطر بعد انتقاله ، ومكانه ﷺ فى هذه الحالة وتلك هو مكان مقدس يرتحل اليه ويتبرك به ، واسمه الشريف ﷺ من أقـدس مـا يقســم بـه ﷺ (بجاه من بيته فى طيبة حرم : واسمه قسم من أعظم القسم) .

وبذلك تختتم قصيدة بردة المديح المباركة ونقدم الشكـر لله تعالـى فى ختامها كما قد قدمناه له تعالى فى بدئهـــا (وهذه بردة المختار قد ختمت : والحمد لله فى بدء وفى ختم)

وقد بلغت أبياتها مائة وستون بيتا ، نرجو بـــارب أن تخلصنا بركتها مــن همومنا فسألت يــارب واسع الجود كبير العطاء (أبياتها قد أتت ستون مع مائة : فرج بها كربنا يا واسع الكرم) .

. . . .

والآن الـــى التفاصيـــــــــل

. . . .

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرٍ
وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي الكَرَمِ

معانى المفردات

الرضا : فى أصل اللغة الاختيار ، وأيضا عكس السخط وهو الغضب

الاجمال

وبعد هذا المديح لسيدنا رسول الله ﷺ والرجاء الى الله تعالى أن يديم صلاته تعالى عليه ﷺ نرجو يارب أن ترضى عن الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق ، وعمر ابن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب .

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ
أَهْلُ التُّقَى والنَّقَى وَالحِلْمِ وَالكَرَمِ

معانى المفردات

الآل : أهل بيت النبوة رضوان الله عليهم

الصحب : الصحابة

التقى : خشية الله تعالى

النقى : النقاء ، الخلو من العيوب ، الخلو من الخطايا

الحلم : سعة الخلق ، ضد الغضب

الاجمال

ويارب نرجو أيضا أن يشمل رضاك أهل بيت النبوة فهم الأطهار الأحباب ، والصحابة ومن تلاهم من المؤمنين فهم الذين يخشون الله ، الخالصين من الخطايا المعروفين بسعة الخلق والجود .

يَارَبِّ بِالمُصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا
وَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَاوَاسِعَ الكَرَمِ

معاني المفردات

بلغ : من البلاغ أى الوصول
مقاصدنا : أهدافنا ومرادنا
اغفر : أصل الغفر هو الستر ، أى استر واصفح

الاجمالى

ونرجوك يارب ونستحلفك برسولك المختار منك ﷺ أن توصلنا الى تحقيق أهدافنا وهى هنا كما أوضحت الأبيات السابقة الصلاة على سيدنا محمد ﷺ والرضا عن آل البيت والخلفاء الراشدين والصحابة والمؤمنين . كما نرجوك يارب أن تتسامح وتتجاوز عما فرط منا من ذنوب وخطايا فأنت جل علاك كبير الجود عظيمه .

وَاغْفِرْ إِلٰهِى لِكُلِّ المُسْلِمِينَ بِمَا
يَتْلُونَ فِى المَسْجِدِ الأَقْصَى وَفِى الحَرَمِ

معاني المفردات

المسجد الاقصى : بيت المقدس
الحرم : الكعبة المشرفة

الاجمالي

ونحن يارب لا نطلب المغفرة والصفح لنا وحدنا بل نرجو أن تشمل كل المسلمين متشفعين لديك جل جلالك بهذا الذى يتلى من آيات فى المسجد الاقصى والكعبة الشريفة .

بِجَاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طَيْبَةٍ حَرَمٌ
وَاسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ القَسَمِ

معانى المفردات

جاه	: قدر ومنزلة وعزة ، من الوجاهة وهى رفعة القدر وعظم المرتبة
طيبة	: المدينة المنورة ومن أسمائها أيضا المحببة ، المحبوبة يثرب ، الناحية ، المباركة

الاجمالي

ومستشفعين لديك جل علاك أيضا بسيدنا محمد ﷺ الذى كنى عنه ﷺ بصفة لازمة من لوازمه ﷺ وهى سكنى المدينة المنورة ، والذى بيته ﷺ فيها كعبة تزار واسمه الشريف ﷺ من أكبر وأشرف ما يقسم به .

وَهَـٰذِهِ بُرْدَةُ الْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ
وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ فِي بَدْءٍ وَفِي خَتَمِ

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ

المختار : هو سيدنا المصطفى
ختمت : انتهت
الحمد : الشكر

الإجمالي

وهذه بردة مديح سيدنا المصطفى ﷺ قد انتهت والشكر لله تعالى في بدئها وفي ختامها .

أَبْيَاتُهَا قَدْ أَتَتْ سِتِّينَ مَعْ مِائَةٍ
فَرِّجْ بِهَا كَرْبَنَا يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ

ستون مع مائة : مائة وستون
فرج : الفرج هو الخلوص من الشدة
الكرب : الهم

الاجمالى

وأبيات هذه البردة المباركة عددها مائة وستون بيتا نرجو يارب العزة أن ترفع ببركتها عنا ما أصابنا من هم وغم وشدة . وأنت يامولانا عظيم الجود كبيره .

وهذا البيت يؤكد أن البردة أبياتها فى الأصل مائة وستون بيتا كما سبق أن ذكرنا فى حينه والأبيات الباقية زيدت على الأصل . وأن آخر الابيات التى أنشأها الامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه هو البيت الذى يقول .. " ما رنحت عذبات البان ريح صبا .. الخ " .

خاتمة

وبعد ... فهذا جهد المقل حملته اليكم الصفحات المتقدمة ... بهدف محدد واضح منذ البداية وهو ... شرح مبسط للبردة المباركة ... يجلو معانيها ... ليسهل تذوقها .... وتمام الاستمتاع بقراءتها ... وفهمها ... وتداولها .

جهد المقل ... أقدمه كلمة حمد وشكر للمولى عز وجل سبحانه وتعالى على أن جعل عندى ما أقدمه للناس .

فمنه سبحانه وتعالى الهداية ... فأحمده وأشكره تعالى أن هدانى للتفكير فى هذا العمل ... وأحمده وأشكره تعالى أن يسر لى تنفيذه ... فخرج بهذا المضمون وفى هذا الشكل .

أحمده سبحانه وتعالى إن أكن قد وفقت ... فمنه وحده سبحانه وتعالى كل خير وكل توفيق فى كل حرف خططت ... وأستعيذه تعالى من أن أنسب لنفسى شيئا .

وأستغفره تعالى إن أكن قد قصرت ... فالتقصير هو

من نفس بشرية ... أثقلتها بشريتها عن الاستجابة لعطاء
اللـه تعالى وكرمـه .

جهد المقل ... أقدمه قطرة فى بحر الحـب لسيدى
وحبيبى المصطفـى ﷺ وآل بيته الأطهار ... مصابيح
حياتنا الأولـى والآخـرة ... ففى الأولى نقتدى بهـم
فيرضى عنا الله تعالى ... وفى الآخـرة ندخل فى كنفهـم
فى ظل الرحمن جل وعـلا .

قطرة حـب لك ياسيدى المصطفى صلى الله عليك وسلم
... لعلها موفية ولو النذر اليسير من واجب الشكر لـك
صلى الله عليـك وسلم على أن حملت إلينا رسالة الاسلام ...
وعملت على نشرها ... حتى وصلتنا محفوظة مصانة علـى مـر
الأيـام .

وإن كنت يا سيدى يا رسول الله عليك أفضل الصـلاة
وأزكى السلام قد حددت أجـرك على ما قدمت لنـا بمـا
جاء فى الذكر الحكيم كلام رب العالمين تعالى ... " قـل
لا أسألكم عليه أجـرا إلا المودة فى القربـى " ....

فها نحن يا سيدى يا رسول الله عليك الصلاة والسلام علـى
أعتاب أهل بيتك الكرام والأطهار ... مستمتعين بـأداء

حقك علينا ... الذى أبى كرمك وعطاؤك إلا أن يكون هذا الحق خير متعة روحية ونفسية ... نستعذ بها ونحن فى رحابهم ... وبركات تعمنا .

جهد المقل ... أقدمه كلمة حب للامام البوصيرى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ... صاحب البردة ..... هذا الصرح العالى من المديح النبوى المبارك ... الذى صور لنا كيف يكون الحب لسيدنا المصطفى ﷺ

استلهمت روحك يا سيدى الامام وأنا آخذ بنصيبى من تناول بردتك المباركة بالشرح ... واقفا فى صف الفحول العظام الذين سبق وتناولوها ... وأنا أقلهم ... إلا من فضل الله تعالى وتوفيقه ... استلهمت روحك ... فلعلى تعبيرا استطعت .

جهد المقل ... أقدمه لجدى وشيخى " أبو خليل " صاحب " الطريقة الخليلية " ... الذى بمدده ... وميراثا من حبه رضى الله تعالى عنه وأرضاه لسيدنا رسول الله ﷺ كتبت ما قدمت ... شمعة فى طريقك أضاءت ... ولعل بعضا من نورها متسرب الى الفكر الصوفى

والمتصوفة ... هدية ... من الطريقة الخليلية .

جهد المقل ... أقدمه الى أبى وشيخى " السيد/ محمد محمد أبو خليل الصغير " ... أقول فيه انى أواصل ... على استحياء الضعيف العارف لقدر من سبقوه ... مسيرة أنت بدأت ... حين قدمت كتابك " المربى " .. شارحا للفكر الخليلى ... ومجليا أسراره .

جهدا ... أقدمه للاخوة الخليلية ... لنفهم ونعى ما نعمل ... ونفقه ما نقول ... حتى يكون أقرب للقبول.

جهدا أقدمه لاخوة الايمان فى كل زمان ومكان .... قصدت به حب سيدى المصطفى ﷺ وعفو الرحمن .

تم بحمد الله تعالى

فهرس

الموضـــــوع				الصفحـــة

مطبعة نهضة مصر



ويستغفر الله بهذه الصيغة :

استغفر الله العظيم التواب الر